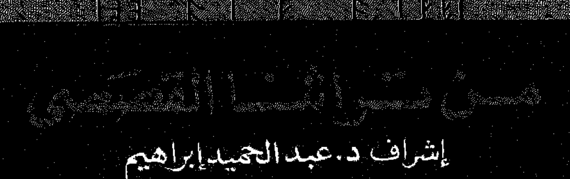


من تراثنا القصصي

إشراف د. عبد الحميد إبراهيم

نوادر البخلاء

نصوص ودراسة

د. محمد عبد الرحمن الربيع

دار الشروق




نوادر
البخلاء
نصوص ودراسة

الطبعة الأولى

١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م

© دار الشروق

أسسها محمد المعلم عام ١٩٦٨

القاهرة . ٨ شارع سيبويه المصرى - رابعة العدوية - مدينة نصر
ص . ب ٣٣ البانوراما - تليفون : ٤٠٢٣٣٩٩ - فاكس : ٤٠٣٧٥٦٧ (٠٢)

بيروت : ص.ب : ٨٠٦٤ - هاتف ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٢١٣
فاكس : ٨١٧٧٦٥ (٠١)

د. محمد عبد الرحمن الربيع



نصوص ودراسة

دار الشروق

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تقديم

للأستاذ الدكتور عبد الحميد إبراهيم

- ١ -

إن الفرق بين بخيل الجاحظ وبخيل موليير ، يقربنا خطوة كبيرة من مفهوم النادرة العربية.

فالبخيل عند موليير يتعرض لأنواع شتى من الصراعات النفسية ، ويحلل المؤلف أعماق شخصيته ، ويصفها فى مواقف ساخرة ، تتميز بالعنف ، الذى يصل إلى حدا التجريح .

أما الجاحظ فهو يهدف إلى المتعة والتسلية ، ولا يضع مشرطا حادا داخل شخصيته ، فيحللها ويمزقها ، إنه يكتفى بوضع شخصيته فى «مطبات» تحاول أن تثير الضحك، وأن تعدل من سلوك الشخصية دون تجريح أو قسوة ، ولكن بقدر من التعاطف والحنو ، يهدف إلى إضحاك المتفرِّج والمتفرَّج عليه معًا.

إن محفوظ النقاش (انظر رقم / ١١ من نصوص هذا الكتاب) هو صورة للبخيل عند الجاحظ ، الذى يدافع عن فلسفته ويحرص على

متاعـه ، ولكن الجاحظ لا يجرح تلك الشـخصية ، إنه يسخـر منها سخرية خـفيفة طريفـة ، ويجعل الطرف الآخر يضحك من فلسـفته ضحكا يثير النشـاط والسرور على حد قـوله ، ويتمنى أن يشـاركه الجميع فى متعة الضحك والتسلية، ويقول:

«ولو كان معى من يفهم طيب ما تكلم به، لأتى علىّ الضحك أو لقـضى علىّ، ولكن ضـحك مـن كـان وحده لا يـكون على شطر مشاركة الأصحاب».

-٢-

إن هذ الفرق بـين طريقة عنيفـة، وأخرى حـانية، يعكس فلسـفة حضارتين مختلفتين.

حـضارة تؤمن بـالعنف، وبحل الإشكالات عن طريق الصـراع. وأخـرى متـسامـحـة حتى مع المخـطئين، لا يهمـهـا التعـذيب ولا التـجـريح، ولكن يهـمهـا بالدرجـة الأولى، أن يعـود الشـارد إلى حظيرته، ويجد «الجماعة» فى انتظاره، تفسح له مكانا بينها، وتدعوه إلى أن يشاركها «متعة الضـحك»، حتى لو كان هذا الضحك موجها إليه شـخصيـا، فلا عداوة ولا نوايا خـبيثـة، وكل شيء يجرى على سجيته.

وهنا خطأ الذين يقـومون بعمليـة المقارنة، بين صورة البـخيل فى

الأدب العربى، وصورة البخيل فى الآداب الأوروبية، ظنا منهم أن هذه المقارنة، تدخل فى ميدان الأدب المقارن. فهنا صورة للبخيل تذكر بصورة أخرى لبخيل آخر، وكلا الصورتين تتعرضان لموضوع واحد، يثير السخرية أو الضحك.

إن هذه المقارنة تقف عند ظواهر الأشياء دون أن تتعمقها حقا، إن الصورتين عن البخيل، ولكن شتان بين بخيل وبخيل، وشتان بين رؤية حضارية تختلف هنا عنها هناك، إن التحليل العميق، الذى يتجاوز ظواهر الأشياء، يجعلنا فى النهاية فى مواجهة صورتين متنافرتين، أكثر مما هما متقاربتان، تقومان على فكرة التأثير والتأثر، وهى الفكرة التى يقوم عليها عصب الدراسات فى الآداب المقارنة.

-٣-

نحن بذلك نقترب خطوة كبيرة من فهم «خصوصية» النادرة العربية، سواء فى الشكل أو فى المضمون.

فهى ذات شكل يتعامل مع الأشياء فى سطحها الظاهرى، وبعفوية لا تغوص ولا تحلل ولا تشعل الصراع، وهى أيضا ذات مضمون متسامح يعكس رؤية تعانق حتى الشاردين وتدعوهم إلى لذة المشاركة، ومتعة العودة إلى الجماعة.

ولو حللنا النادرة الأولى، التى أوردها الدكتور الربيع فى هذا

الكتاب تحت عنوان «مؤتمر عام للبخلاء»، لاقتربنا إلى ميدان التطبيق العلمى، الذى يدعم من موقف هذا التجريد النظرى.

فالنادرة تتكون من مقدمة وموضوع وخاتمة.

أما المقدمة فهى تستلفت النظر إلى هذا المذهب للبخل، الذى شاع وأصبح الناس يتدارسون أمره فى المساجد، ويستمتعون بذكره، أما الخاتمة فهى تظهر على هيئة تعليق من صاحب الحمار، الذى يغرى بطلب المزيد من أخبار هذه الجماعة. التى انتشرت حتى بين الصالحين، أما الموضوع فهو يدور حول «معاذة العنبرية» النموذج للبخيل الذكى، الذى يفيد من كل شىء حتى لو كان تافها مذموما.

وهذه البنية الفنية تتكون كما قلنا من ثلاثة أجزاء، كل جزء مستقل عن الآخر، وإن كان كل جزء يتعاون مع الآخر فى تنمية الهدف الكلى للنادرة. وهى تركيبة قد ارتضتها المقامات كنموذج للأدب الفصيح، وارتضتها أيضا رحلات السندباد كنموذج للأدب الشعبى، وهذه التركيبة، سواء كانت فى المقامات أو عند السندباد أو حتى فى النادرة العربية، إنما تعبر عن شكل أصيل، تضرب جذوره إلى رؤية تاريخية وإلى ترسبات من واقع المكان والبيئة، مما عرضنا بالتفصيل فى الجزء الرابع فى كتاب «الوسطية العربية» وفى فصل «الشكل الأصيل وتصالح الطرفين».

والنادرة تسخر من «معاذة» ولكن بتعاطف شديد. حقا، إن صفة

البخل صفة مذمومة، ولكن الجاحظ يصور هذه الصفة بطريقة كاريكاتورية مضحكة، وكأنها الدعابة الخفيفة التى لا تجرح ولا تهدم، بل تأخذ بيد الشخصية وبحنو شديد، وتدفعها إلى تعديل سلوكها، والانتماء إلى الجماعة.

ـ ٤ ـ

وكل هذا يعنى أننا إزاء جنس أدبى خاص، يعكس رؤية حضارية، تفرض نفسها على مضامين هذا الجنس، وعلى بنيته الفنية.

وقد حاول الدكتور الربيع فى القسم الثانى من هذا الكتاب ـ وهو القسم الخاص بالدراسة ـ أن يحدد ملامح هذا الجنس الأدبى، وأن يعددها فى أمور أوصلها إلى ثمانية.

حقا إن الدكتور الربيع فى تحديد ملامح هذا الجنس، لم يتطرق للحديث عن الملامح الفنية، ربما اكتفاء بما ورد فى العدد الأول من هذه السلسلة، إذ تضمن فى القسم الثانى الخاص بالدراسة، حديثا عن ملامح هذا الجنس، سواء فى رؤيته الفلسفية، أو رؤيته الفنية.

- ٥ -

ويمكن أن نطلق على هذا الجنس الأدبى، مصطلح «النادرة»، والنادرة - كما تقول المعاجم العربية - هى «الطرفة من القول». والطرفة - كما تقول المعاجم أيضا - هى كل مستحدث عجيب.

والمعاجم العربية تقف عند هذه الوظيفة العامة التى تشير إلى وجود جنس أدبى، يتوافر له كل ما يتوافر للأدب من طرافة وجدة وإثارة.

ونحن لا نطلب من المعاجم أكثر من ذلك، فهى معنية بالدلالات اللغوية، التى تقف عند المستوى الأول للغة ولا تتجاوزه إلا فى إشارات قليلة، أما المستوى الثانى الذى يتطلب تحديد الخصائص الأدبية، فهو من مسئولية النقاد والمنظرين.

والتحدى الأكبر يتطلب من النقاد والمنظرين، أن يكشفوا عن خصائص هذا الجنس من داخله، وأن يتخلصوا من الكسل العقلى الذى يجعلهم يتسترون وراء عبارات غامضة وعامة، أو يقتبسون المصطلحات الأجنبية، التى نشأت فى كل جنس آخر، له فلسفته التاريخية وظروفه البيئية.

إن النادرة شىء يختلف تماما عن القصة القصيرة، إن لها مصطلحاتها الخاصة، التى تختلف عن العقدة والذروة والشخصية

المركبة والموقف المائل واللحظة التنويرية، وغير ذلك من مصطلحات عرفناها مع معرفة القصة القصيرة، فى شكلها الوافد من الغرب.

إن مصطلحات القصة القصيرة تخضع فى عمومها لروح الصراع، التى تسيطر على بنية الحضارة الأوروبية. أما النادرة فهى تتعامل مع الأشياء بخفة ودون الإيغال فى الصراع، وتلجأ من أجل ذلك إلى وسائل، قد تبدو فى الوهلة الأولى أنها ساذجة، من نتاج الشعوب البدائية، التى لا تستطيع التعمق فى التحليل أو فى الصراع. ولكن عند التدقيق نكتشف أن هذه السذاجة إنما هى سذاجة التلقائية والعفوية، التى تجذب أكثر مما تنفر، ونكتشف أيضا أن هذه العفوية قد تصل إلى الهدف بطريقة أسرع، وتعمل إلى عودة «الشاذ» إلى المجموع دون عنف ولا تجريح، لأنها تدرك بفطرتها أن العنف قد يجرُّ إلى العناد، وقد يرفع بالأمور كلها إلى التأزم وإلى الذروة، وإلى العقدة، وغير ذلك من مصطلحات عرفتها القصة القصيرة، ونشأت فى ظلال عملية الصراع.

-٦-

وهدف هذه المجموعة «من تراثنا القصصى»، هو الكشف عن ملامح النادرة العربية، حتى تستقر بيننا على هيئة مصطلحات خاصة، كما استقرت فى صورتها الإبداعية، التى احتفظت بها المؤلفات القديمة.

وهنا تأتى أهمية هذا العدد، الذى يقدمه لنا الدكتور محمد عبد الرحمن الربيع، وكيل جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، تحت عنوان «نوادر البخلاء».

إن نوادر البخلاء تمثل رافدا «ضخما» من روافد النادرة العربية، وأضع كلمة «ضخما» بين علامتى تنصيص، لأن هذه النوادر عن البخلاء قد شاعت بين الناس أكثر من غيرها، ربما بسبب شخصية البخيل، وهى شخصية معقدة، تعكس ظروفا اجتماعية ونفسية، وتثير حفيظة كثير من الناس، ويجد فيها الأديب مادة طريفة، خاصة إذا جمع بينها وبين شخصية أخرى، هى شخصية «الطفيلى» إذ يحدث صراع بين الشخصيتين، إحداهما ترغب والأخرى تمنع، وتكون الفرصة مواتية لكى يخلق الأديب جوا من الصراع، يتميز بالطرافة والمتعة.

ومن هنا أصبح تقليدا أن تحوى الكتب القديمة، شيئا من نوادر البخلاء، جنبا إلى جنب مع القصائد الشعرية والنثر الفنى، فالمؤلف القديم يدرك بحاسته النقدية أن هذا الجنس الأدبى لا يقل فى أهميته عن الشعر والخطب والرسائل.

وقد تتبع الدكتور الربيع فى القسم الثانى من هذا الكتاب، حركة التأليف حول البخل والبخلاء منذ الأصمعى، وحتى الفقيه الحنبلى جمال الدين يوسف، ومرورا بالجاحظ، وابن قتيبة، وأبى حيان التوحيدى، وابن عبد ربه، والأبشيهى، وغيرهم كثيرون.

ولم يكتف الدكتور الربيع بذلك، بل قدم لنا فى القسم الأول نماذج من نوادر البخلاء، ضبطها، وشرح غامضها وأحالها إلى مصادرها الأصلية، وأخيرا حللها وأشار إلى دلالاتها المضمونية والفنية فى نهاية الكتاب.

وبذلك أصبح القارئ أمام نماذج، معتمدة وأصلية، تمثل هذا الجنس الأدبى، وتدفعه إلى اكتشاف مصطلحاته الخاصة، وإلى إرساء دعائمه كفن مستقل، ليس هو القصة القصيرة، ولا المقالة النقدية، ولكنه فقط هو النادرة العربية.



القسم الأول
النصوص المختارة

(١)
المؤتمر العام للبخلاء

قال أصحابُنا من المسجديِّين[١] : اجتمع ناسٌ فى المسجد ممن يَنْتَحِلُ الاقتصادَ فى النفَقَةِ والتثميرَ للمالِ من أصحاب الجَمْعِ والمَنْع[٢] وقد كان هذا المذهب صار عندهم كالنسب الذى يجمع على التحَاب، وكالحِلْفِ الذى يجمع على التناصر، وكانوا إذا التَقَوا فى حِلَقِهِم، تذاكروا هذا البابَ وتطَارحُوه وتدارسوه التماسًا للفائدة واستمتاعًا بذكره.

. . . .

ثم اندَفَع شيخٌ منهم فقال:

لم أرَ فى وَضْعِ الأمور مَوَاضِعَها وفى تَوْفِيَتِها غاية حقوقها كمُعَاذَةَ العنبرِيةِ.

---

(١) المسجديون: طائفة من البخلاء يجتمعون فى المساجد وبخاصة فى مساجد البصرة.

(٢) أصحاب الجمع والمنع: اصطلاح أطلقه البخلاء على أنفسهم آى أنهم يجمعون المال ولا يفرطون فيه.

قالوا: وما شَأْنُ معاذةَ هذه؟

قال: أَهْدَى إليها ابنُ عمٍّ لها أُضْحِيَةً، فرأيـتها كئيبةً حَزِينةً مُفَكِّرةً مُطْرِقَةً فقلت لها: مالكِ يا معاذةُ؟

قالـت: أنا امرأةٌ أَرْمَلَةٌ وليس لى قَـيِّمٌ ولا عهـدَ لى بتدبيـرِ لَحْمِ الأَضَاحِى، وقـد ذهب الذين كـانوا يُدَبِّرُونَهُ ويقومـون بِحَقِّـه، وقد خِفْتُ أن يضيع بعضُ هذه الشاة ولستُ أعـرفُ وَضْعَ جميع أجزائها فى أماكنها، وقد علمتُ أنَّ اللهَ لم يَخْلُقْ فيها ولا فى غيرها شيئًا لا مَنْفَعَـةَ فيه، ولكنَّ المرءَ يـعجز لامحـالةَ، ولست أخافُ من تضـييعِ القليلِ إلاّ أنه يَجُرُّ تضييعَ الكثيرِ.

أما القَـرْنُ فالوجهُ فيـه معروفٌ، وهو أن يُجْـعَلَ منه كالخُطَّاف[1] ويسمَّرَ فى جِـذْعٍ من أجذاعِ السقفِ فَيُعَلَّق عـليه الزُّبُلُ والكِيرَانُ[2]، وكلُّ ما خِيفَ عليه من الفـأرِ والنملِ والسَّنَانيرِ وبَنَاتِ وَرْدَانٍ والحَيَّاتِ وغيرِ ذلك.

أما المُصْرانُ فإنه لأَوْتَارِ المِنْدَفَةِ وبِنَا إلى ذلك أعظمُ حَاجَةٍ.

وأما قِحفُ[3] الرأسِ واللَّحْيَانُ وسائرُ العظامِ فَـسَبِيْلُهُ أن يُكْسَرَ بعد

---

(١) الخطاف: حديدة معقوفة يعلق عليها.

(٢) الزبل: جمع زبيل وهو القفة، والجراب أو الوعاء. والكيران: جمع كور وهو الرحل.

(٣) قحف الـرأس: أعلى الدماغ من العظم. واللحـيان تثنيـة لحى وهو عظم الحنك الذى عليه الأسنان.

أن يُعْرَق[١]، ثم يُطْبَخُ فما ارْتَفَعَ من الدَّسَمِ كان للمصباحِ وللإدامِ والعَصيدَةِ[٢] ولغيرِ ذلك، ثم تُؤْخَذُ تلك العظامُ فيوقدُ بها فلم يرَ الناسُ وقودًا قطُّ أصفَى ولا أحسنَ لَهَبًا منه، وإذا كانت كذلك فهى أسرعُ فى القدرِ لقلّة ما يُخالطُها من الدخان، وأما الإهَابُ فالجلدُ نَفْسُهُ جِرَابٌ وللصوفِ وجوهٌ لا تُعَدُّ، وأما الفَرْثُ والبَعْرُ فَحَطَبٌ إذا جُفِّفَ عجيبٌ.

ثم قالت: بقى الآنَ علينا الانتفاعُ بالدمِ وقد علمتُ أنَّ اللهَ - عزَّ وجلَّ - لم يُحَرِّمْ من الدم المَسْفُوح إلاَّ أَكْلَهُ وشُرْبَهُ وأنَّ له مواضعَ يجوزُ فيها ولا يُمْنَعُ منها وإن أنا لم أَقَعْ على عِلْمِ ذلك حتى يوضع موضعَ الانتفاعِ به صار كَيَّةً فى قلبى وقذًى فى عينى وَهمّا لا يزالُ يُعَاوِدُنى.

قال: فلم ألبثْ أن رأيتُها قد تَطَلَّقَتْ وتبسَّمتْ فقلتُ: ينبغى أن يكونَ قد انْفَتَحَ لك بَابُ الرأىِ فى الدمِ قالت: أجلْ ذَكَرْتُ أن عندى قُدُورًا شَامِيَّةً جُدُدًا وقد زعموا أنه ليس شىءٌ أدبغَ ولا أَزْيَدَ فى قُوَّتِهَا من التلْطِيخِ بالدمِ الحَارِّ الدَّسِمِ وقد استرحتُ الآنَ إذ وَقَعَ كُلُّ شىءٍ مَوْقعَه.

قال: ثم لقيتُها بعد ستةِ أشهرٍ فقلتُ لها: كيفَ كان قَدِيدُكِ؟

---

(١) يعرق: أى بعد أن يؤكل ما عليه من اللحم.

(٢) العصيدة: طعام من الدقيق والسمن.

قالت: بأبى أنت لم يَجِئْ وقتُ القديد بَعْدُ، لنا فى الشحم والإلْيَة والجُنُوبِ والعَظْمِ المُعَرَّقِ وفى غير ذلك مَعَاشٌ ولكلِ شىء إبَّانٌ.

فَقَبَضَ صاحبُ الحمارِ والماء العَذْب قَبْضَةً من حَصَى ثم ضَرَبَ بها الأرضَ ثم قال: لا تَعْلَمُ أنكَ من المُسْرِفينَ حتى تَسْمَعَ بأخبارِ الصَالحين

البخلاء للجاحظ ص٢٧

(٢)

الكندى وتأجير العقارات

قال مَعْبَدٌ: نَزَلْنا دارَ الكندى أكثرَ من سنةٍ نُرَوِّجُ له الكِرَاءَ ونَقْضِى له الحَوَائجَ ونَفِى له بالشرْطِ.

قلت: قد فَهِمْتُ تَرْويجَ الكِرَاءِ وقَضَاءَ الحوائجِ فما معنى الوفاء بالشرط؟

قال: فى شَرْطِه على السكان أن يكونَ له رَوْثُ الدابة، وبَعْرُ الشَاة ونشْوَار[1] العَلُوفَةَ، وألاَّ يلقوا عَظْمًا ولا يُخْرِجوا كُسَاحَةَ[2]، وأن يكونَ له نَوىَ التمر وقُشُورُ الرمَّانِ، والغَرْفَةُ من كل قِدْرٍ تطبخ

(١) نشوار العلوفة: ما تبقيه الدابة من العلف.

(٢) كساحة: ما يكسح من البيت أى يكنس وينظف

للحُبْلى فى بيته، وكان فى ذلك يَتَنَزَّلُ عليهم فكانوا لِطيبه وإفراطِ بخله وحُسْنِ حديثه يَحْتَمِلُونَ ذلك.

قال معبد: فبينا أنا كذلك إذ قَدِمَ ابنُ عمٍّ لى ومعه ابنٌ له وإذا رُقْعَةٌ منه قد جاءتنى «إن كان مُقَامُ هذين القادمين ليلةً أو ليلتين احْتَمَلْنَا ذلك وإن كان إطْمَاعُ السُّكانِ فى الليلة الواحدة يَجُرُّ علينا الطَّمَعَ فى الليالى الكثيرة» فكتبتُ إليه «ليس مُقَامُهما عندنا إلاّ شهرًا أو نَحْوَه» فكتب إلىّ «إنَّ دارَكَ بثلاثين درهمًا وأنتم ستةٌ لكلِ رأسٍ خمسةٌ فإذْ قد زِدْتَ رجلين فلابد من زيادة خمسين فالدارُ عليك من يومك هذا بأربعين» فكتبتُ إليه «وما يَضُرُّكَ من مُقامهما وثقَلُ أبدانهما على الأرضِ التى تحملُ الجِبَالَ، وثِقَلُ مؤُنَتِهما علىَّ دونَك؟ فَاكْتُبْ إلىَّ بعذرك لأعْرِفَهُ» ولم أَدْرِ أنى أَهْجُمُ على ماهَجَمْتُ وأقعُ منه فيما وَقَعْتُ فكتب إلىَّ «الخِصَالُ التى تدعو إلى ذلك كثيرةٌ وهى قائمةٌ معروفةٌ، من ذلك سُرْعَةُ امتلاء البَالوعةِ وما فى تَنْقِيَتِها من شدَّةَ المُؤْنَة، ومن ذلك أن الأَقْدَامَ إذا كَثُرَتْ كَثُرَ المشىُ على ظُهور السطُوح المُطيَّنَة وعلى أرضِ البيوتِ المُجَصَّصَةِ والصعودُ على الدَرَجِ الكثيرةَ فَيَنْقَشعُ لذلك الطينُ وينْقَلِعُ الجصُّ.

وينْكَسِرَ العَتَبُ مع انْثِنَاءِ الأجْذَاعِ لكثرة الوَطْء وتكسرها لِفَرْطِ الثقلِ، وإذا كَثُرَ الدخولُ والخروجُ والفتحُ والإغلاقُ والإقفالُ وجَذبُ

الأقْفَال تَهَشَّمَتْ الأبوابُ وتَقَلَّعَتِ الرزَّات[1]، وإذا كثر الصبيانُ وتضاعف البَوْشُ[2] نُزعَتْ مساميرُ الأبواب وقُلعَتْ كُلُّ ضَبَّة[3] ونزعت كلُ رَزَّة وكُسرتْ كُلُّ حَوْزَة وحفر فيها آبارُ الزَّرْو[4] وهَشَّمُوا بَلاطَها بالمَدَاحِي، هذا مع تخريب الحيطان بالأوتَاد وخَشَب الرُفُوف، وإذا كَثُرَ العِيالُ والزُّوارُ والضيفَانُ والنُدَمَاءُ احتيجَ من صَبٍّ الماء واتخاذ الحَبَة القاطرَة[5] والجرَار الراشحَة إلى أضْعاف ما كانوا عليه، فكم من حائط قدَ تآكلَ أسفَلُه وتناثَر أعلاه واسترخَى أسَاسُهُ وتداعَى بُنْيَانُه من قَطْرِ حَبٍّ ورَشْحِ جَرَّة ومن فَضْلِ ماءِ البِئْرِ ومن سوءِ التدبير.

وعلى قَدْرِ كَثْرَتهم يَحْتَاجُون من الخَبيزِ والطَبيخِ ومن الوَقُود والتسْخين، والنارُ لا تُبقى ولا تَذَرُ وإنما الدورُ حَطَبٌ لها وكلُ شيء فيها من مَتَاعٍ فهو أكْلٌ لها فكَمْ من حريق قد أتَى على أصْلِ الغَلَّة. فكَلَّفْتُم أهلَها أغْلَظَ النفقة وربما كان ذلك عند غَاية العُسْرَة وشدَّة الحَال وربما تعدَّت تلك الجنَايةُ إلى دُور الجيران وإلى مُجَاوِرَة الأبْدَان والأموال فلو تَرَكَ الناسُ حينئذ رَبَّ الدار وقَدْرَ بَليَّته ومقْدَارَ مُصيبَته لكان عَسَى ذلك أن يكونَ مُحتَّملاً ولكنَّهم يتشاءَمُونَ به ولا يَزالون يَسْتَثْقلُونَ ذكْرَهُ ويُكْثرُون من لائمَته وتَعْنيفه».

البخلاء للجاحظ ص٧١

(١) الرزات: جمع رزة، الحديدة الموجودة فى الباب.

(٢) البوش: الجماعة والعيال.

(٣) الضبة: حديدة يغلق بها الباب.

(٤) الزرو والمداحى: من ألعاب الأطفال فى ذلك الوقت.

(٥) القاطرة والراشحة: أنواع من الجرار الفخارية تستخدم لتبريد الماء.

(٣)
بخل أهل طوس

عن أبى تغلب عبد الوهاب بن على الحسن الملحمى قال: حدثنا القاضى أبو الفرج المعافى بن زكريا الجزيرى قال: أنبأنا محمد بن الحسن بن دريد قال: حدثنا عبد الرحمن - يعنى ابن عبيد الله بن قريب ابن أخى الأصمعى - عن عمه قال: أَبْخَلُ أهلِ خراسان أهلُ طُوس؛ وكانت قريةٌ من قُراها قد اشتُهِرَ أهلُها بالبُخْلِ، وكانوا لا يَقْرَون ضيفًا فبلغ ذلك واليًا من ولاتهم ففرض عليهم قِرَى الضيف وأمرَهم أن يضْرِبَ كلُ رجلٍ منهم وتدًا فى المسجد الذى يصلى فيه وقال: إذا نزل الضيفُ فعلى أى وتد علَّقَ سَوْطًا أو ثوبًا فَقِراهُ على صاحب الوتد؛ وكان فيهم رجلٌ مُفْرِطُ البخل فعمد إلى عود صَلْب فَمَلَّسَهُ وحَدَّدَهُ وصيَّرَهُ فى زاوية المسجد ووتَّده مَنْصُوبًا لِيَزِلَّ عنه ما عُلِّقَ عليه. فدخل المسجدَ ضيفٌ فقال فى نفسه ينبغى أن يكون هذا الوتدُ لأبخلِ القومِ وإنما فعل هذا هَرَبًا من الضيَافَة فعمد إلى عِمَامَته فَعَقَدَهَا على ذلك الوتد عَقْدًا شديدًا فَثَبَتَتْ وصاحبُ الوتد ينظر إليه قد سُقِطَ فى يديه فجاء إلى امرأته مُغْتَمّا فقالت: ما شأنُكَ؟ فقال: البَلاَءُ الذى كنا نَحيْدُ عنه، قد جاءَ الضيفُ فَفَعَلَ كذا وكذا. فقالت: ليس حِيلَةٌ إلا الصبْرَ واستعانة اللهِ عليه، وجعلت تُعَزِّيه واجتمعَ بناتُهُ

وجيرانُه مُـتَحَزِّنينَ لما حَلَّ به وكان أمـرُ الضيف عندهم عظيمًا فـعمد إلى شاة فذبَحَها وإلى دَجَاجٍ فاشْتَواها وإلى جَفْنَة فملأها ثَريدًا ولحمًا فجـعلتْ امرأتُه وبناتُه وجاراتُه يتطلـعْنَ من فُروجِ الأبواب والسطُوحِ إلى الضيف وأكلِه وجَـعَلوا يتبادَرُون: قد جاءَ الضـيفُ، وَيْلَكُمْ، قد جاء الضَـيف. فتناول الضـيف عِرْقًا من ذلك اللحـم ورغيفًـا فأكَلَهُ ومسح يَدَهُ وحَمِدَ الله عَزَّ وجلَّ وقـالْ: ارفَعوا باركَ اللهُ عليكم! فقال صاحبُ البيت: كلْ يا عبدَ الله واستَوْفِ عشاءَكَ فقد تَكَلَّفْنا لكَ قال: قد اكتفَـيْتُ فقال: أهكذا أكلُ الضيفِ مثلُ أكلِ الناس لاغـير؟ قال: نعم قال: ماظننت إلا أنكَ تأكلُ جميعَ مـا عَملْنَاهُ وتَدْعُو بغيره فكان ذلك الرجلُ بعد ذلك لا يمرُّ به ضيفٌ إلا قَرَاهُ

البخلاء للخطيب البغداى ص١٨٤

(٤)

آكل الرءوس

وكان أبو عبد الرحمن الثورى يُعْجَبُ بالرءوس ويَحْمَدُها ويَصِفُها وكان لا يأكل اللحمَ إلا يومَ أضحَى أو من بقية أُضْحيَتِه أو يكون فى عُرْسٍ أو دَعْوَة أو سُفْـرَة وكان سَمَّى الرأسَ عُرْسًا لما يجتـمع فيه من الألوانِ الطيبةِ وكان يسميه مَرَّةً الجَامعَ ومرةً الكاملَ.

وكان يـقول: الرأسُ شيءٌ واحـدٌ وهو ذو ألوان عجـيبةٍ وطُـعُوم

مُخْتَلِفَةٌ وكَلٌّ قِدْرٍ وكلٌّ شِوَاءِ فإنما هو شيءٌ واحدٌ والرأسُ فيه الدِّمَاغُ فَطَعْمُ الدماغ على حِدَة، وفيه العينانِ وطَعْمُهُمَا شيءٌ على حدة، وفيه الشحْمَةُ التى بين أصْلِ الأُذُن ومُؤخرِ العين وطعمُها على حدَة؛ على أن هذه الشحمةَ خاصةً أطيبُ من المُخِّ وأنْعَمُ من الزُّبْدِ وأدْسَمُ من السلاَءِ[1] وفى الرأس اللسانُ وطعْمه شيءٌ على حده... والرأسُ سيِّدُ البدنِ فيه الدماغُ وهو مَعْدنُ العقلِ ومنه يَتَفَرَّقُ العَصَبُ الذى فيه الحسُّ وبه قِوامُ البَدَنِ، وإنما القلبُ بابُ العقلِ كما أنَّ النفسَ هى المُدْرِكَةُ والعينُ هى بابُ الألوانِ والنفْسُ هى السامِعَةُ الذائقةُ وإنما الأنفُ والأذنُ بَابَانِ ولولا أنَّ العقلَ فى الرأس لما ذَهَبَ العقلُ من الضرْبَةِ تُصيبُهُ...

وكان لا يشترى الرأسَ إلاّ فى زِيَادَة الشهرِ لمكان زيادةِ الدماغ وكان لا يشترى إلا رأسَ فَتِيٍّ لِوَفَارَةِ الدماغ...

وكان لا يشترى الرأسَ إلا يوم سَبْتٍ

وأما اختيارُهُ شراءَ الرءوسِ يَوْمَ السبتِ فإنَّ القصَّابينَ يَذْبَحُونَ يومَ الجمعةِ أكثر فَتَكْثُرُ الرءوسُ يومَ السبتِ على قَدْرِ الفضلِ فيما يَذْبَحُون، ولأن العَوامَّ والتجارَ والصناعَ لا يَقْرَمُونَ إلى أكْلِ الرءوسِ يومَ السبتِ مع قُرْبِ عَهْدِهم بأكلِ اللحمِ يومَ الجمعة ولأن عامتَهُمْ قد

---

(١) السلاء: السمن.

بَقِيَتْ عــنده فَضْلَة فهى تَمْـنَعُهُ من الشهـوةِ، ولأنَّ الناسَ لا يكادون يَجْمَعُونَ على خِوَانٍ واحدٍ بين الرءوس واللحمِ.

البخلاء للجاحظ ص٩٥

وانظر عيون الأخبار لابن قتيبة رواية

عن الجاحظ ج٣ ص٢٢٢

(٥)
مخاطبة الدراهم

وحديث سَـمِعْنَاهُ على وَجْهِ الـدهرِ، زَعَموا أن رجـلاً قد بَلَغَ فى البُخْل غايَتَـه وصارَ إمامًا، وأنه كان إذا صَـارَ فى يده الدِّرْهَمُ خاطَبَهُ ونَاجَاهُ وفَدَّاهُ واستـبْطَأَهُ، وكان مما يقول له: كم من أرضٍ قد قَطَعْتَ وكم من كِـيسٍ قـد فَارَقْـتَ وكم من خَامِـلَ رَفَعْتَ ومن رفِـيعٍ قـد أخْمَلْتَ، لك عندى ألا تَعْرى ولا تَضْحَى.

ثم يُلْقيـه فى كيسه ويقـول له: اسْكُنْ على اسم الله فى مكان لا تُهانُ ولا تُذَلُّ ولا تُزْعَجُ منه. وأنه لم يَدْخُلْ فيه درهمًـا قَطُّ فأخْرَجَهُ وأن أهلَه ألحُّوا عليه فى شَهْوَةَ وأكثَـروا عليه فى إنْفَاق درهَمٍ فَدَافَعَهُم ما أمكنَ ذلك، ثم حَـمَلَ درهمًا فقط فَبَيْـنَاهُ ذاهبٌ إذْ رأى حَوَّاءً قد أرْسَلَ على نفسه أفْعَى لِدِرْهَمٍ يأخُذُه فقال فى نفسه: أتْلفُ شيئًا تُبْذَلُ

فيه النفسُ بأكلة أو شَرْبة، واللهِ ما هذا إلاّ مَوْعظَةٌ لى من الله، فرجع إلى أهله وردَّ الدرهَم إلى كيسه، فكان أهْلُهُ منه فى بَلاءٍ وكانوا يَتَمَنَّونَ موتَه والخلاصَ منه بالموت والحياة بدونه.

فلما ماتَ وظنوا أنهم قد استَراحُوا منه قَدِمَ ابنُهُ فاستَولى على مالِه ودارِه ثم قال: ما كان أَدَمُ أبى؟ فإن أكثَر الفساد إنما يكون فى الإدامِ.

قالوا: كانَ يَتَأَدَّمُ بِجُبْنَةٍ عنده.

قال: أَرُونيها، فإذا فيها حَزٌّ كالجدول من أثَرِمَسْحِ اللُّقْمَةِ.

قال: ما هذه الحَزَّةُ؟

قالوا: كان لا يَقْطَعُ الجبنَ وإنما كان يَمْسَحُ على ظَهْرِهِ؛ فَيَحْفِرُ كما تَرَى.

قال: فهذا أهْلَكَنِى، وبهذا أقْعَدَنِى هذا المَقْعَدُ. لو علمت ذلك ما صليْتُ عليه.

قالوا: فأنت كَيْفَ تريدُ أن تَصْنَعَ؟

قال: أَضَعُها من بعيدٍ فأشيرُ إليها باللقمةِ.

البخلاء للجاحظ ص١١٩

والقصة فى نهاية الأرب للنويرى مختصرة ج٣ ص٣٠٢ وكذا فى نثر الدر للآبى ج٣ ص٢٨٧

(٦)
طَعَامٌ بكَلام

وبينما الشيخُ الخراسانُى يأكُلُ فى بَعْضِ المواضِعِ إذ مرَّ به رجلٌ فسلَّمَ عليه، فردَّ السلامَ، ثم قال: هَلُمَّ عافاكَ اللهُ، فلما نَظَرَ إلى الرجلِ قد انْثَنى راجعًا يريد أن يَطْفُرَ[١] الجَدْوَلَ أو يُعَدّىَ النهرَ.

قال له: مكَانَكَ فإن العَجَلَةَ من عَمَلِ الشيطانِ.

فوقفَ الرجلُ، فأقبلَ عليه الخراسانى وقال: تريدُ ماذا؟

قال: أريدُ أنَ أتَغَذَّى.

قال: ولِمَ ذَاكَ؟ وكيفَ طَمِعْتَ فى هذا؟ ومنَ أبَاحَ لك مالى؟

قال الرجل: أولَيَسَ قَدْ دَعَوْتنِى؟!

قال: ويلكَ لو ظننتَ أنكَ هكذا أحمقُ ما رَدَدْتُ عليك السلامَ الآيينُ[٢] فيما نحنُ فيه أن تكونَ إذا كنتُ أنا الجالسَ وأنت المارُّ أن تَبْدأَ أنت فَتُسَلِّمَ، فأقول أنا حينئذٍ مُجيبًا لك: وعليكم السلامُ.

فإن كنت لا آكلاً شيئًا، سكتُّ أنا وسكتَّ أنت ومَضَيْتَ أنتَ

---

(١) يطفر الجدول: أى يعدى من ضفة إلى أخرى.

(٢) الآيين: العادة والقانون والنظام كلمة فارسية.

وقَعَدْتُ أنا على حَالى. وإن كُنْتُ آكُـلُ فهاهنا آيِينٌ آخَرُ، هو أن أبدأ أنا فأقـول: هلمَّ، وتجيبُ أنتَ فتقـول: هنيئًا، فـيكون كلامٌ بكلامٍ؛ فأما كلام بِفَعَالٍ وقَوْلٌ بأَكْلٍ فهذا ليسَ من الإنصافِ وهذا يُخْرِجُ علينا فَضْلاً كبيرًا.

قال: فَوَرَدَ على الرجل شىءٌ لم يكن فى حِسَابِه.

فَشُهِرَ بذلك فى تلك الناحية، وقيل له: قد أُعْفِينَا من السلام ومن تَكَلُّف الردِّ. قال: مابى إلى ذلك حـاجةٌ إنما هو أنْ أُعْفِيَ أنا نفسى من هَلُمَّ وقد استقام الأمرُ.

البخلاء للجاحظ ص٢٠

(٧)

توارث الطباع والعادات

وحكَى بعضُهم قال: كنتُ فى سَفَـرٍ فَضَلَلْتُ الطريقَ، فرأيتُ بيتًا فى الفَـلاة فأتيْـتُهُ، فإذا بـه أعْرَابيـةٌ، فلما رأتْنى قـالت: مَنْ تَكُونُ؟ قلت: ضَيْفٌ. قالت: أهلاً ومَرْحَبًـا بالضيفِ انْزل على الرحْبِ والسَّعَةِ، قال: فنزلتُ فَقَدَّمَتْ لى طعامًا؛ فأكلتُ، وماءً؛ فَشَرِبْتُ. فبينما أنا على ذلك إذ أقبلَ صاحبُ البيتِ فقال: مَنْ هذا؟ فقالت ضَيْفٌ. فقال: لا أهلاً ولا مَرْحَبًا مالَنَا وللضيفِ فلما سمعت كلامَهُ رَكِبْتُ من ساعتى وسِرْتُ.

فلما كان من الغَدِ رأيت بيـتًا فى الفَلاَةِ فقَصَدْتُه، فإذا فـيه أعرابيةٌ

فلمـا رأتنْى قـالت: من تـكون؟ قلت: ضـيفٌ قـالت: لا أهلاً ولا مَرْحَبًا بالضـيفِ مالنَاَ وللضيفِ، فبينَمـا هى تُكَلِّمُنى إذ أقبلَ صاحبُ البيتِ. فلما رآنى قـال: مَنْ هذا. قالت: ضَيْفٌ قال: مَـرْحَبًا وأهلاَ بالضيف، ثم أتى بطعامٍ حَسَنٍ؛ فأكلْتُ، وماء؛ فشربْتُ، فتذكَّرْتُ ما مرَّ بى الأمس فتبسمْتُ، فقال: مِمَّ تبـسُّمُك؟ فَقَصَصْتُ عليه ما اتفقَ لى مع تلك الأعرابيةِ وبَعْلِها وما سـمعتُ منه ومن زوجته، فقال: لا تَعْجَبْ إن تلك الأعرابيةَ التى رأيْتَها هى أختى وإن بَعْلَها أخو امرأتى هذه فغلب على كُلٍّ طَبْعُ أَهْلِه.

المستطرف للأبشيهى ج١ ص١٨٩

(٨)

استوثق من عدم الأكل بالعهود والأيمان

قال العَسْكَرىُّ:

كان أحمدُ بنُ مَاذَوَيْه الأهوازى من أَبْخَلِ مَنْ رأيتُ على شىء من المَأْكُولاتِ، وكان يَحْتَبِـسُنى للأكلِ فأجلسُ معه على الطعامِ ولا آكلُ كثيرَ شىء، فاحْتَبَسَنى يومًا وعنده جماعةٌ فأكلوا وأكلَ، وجريت على عادتى فى التنْقيـر وكان الطعامُ أُرْزَةَ جَدْى مَـشْوى ولونينِ من أَطْرَافه وسَقَطِه، فلما فَرَغْنَا من ذلك أقـبلَ غلامُهُ وعلى يده طَيْفُوريَّةٌ[1] فيها

---

(١) طيفورية: صحن كبير أو صينية.

الجَدْىُ، فأقبلَ هو علينا فقال: أمَّــا أنا فقد شَبِعْتُ ولم يبق فىَّ فضلٌ فما تقولون أنتم؟ فـقلت: أما آنا فقد شبعتُ، فقال الجـماعة كقولى قال: فنــجعل الجدى لغــد ونأكله مُبَــرَّدًا فقلت: هذا هــو الصوابُ، فقال: ما أظنكم إلا وفيكم فَضْلَةٌ للأكل وإنما قُلْتُم قَدْ شَبِعْتُم مَسَاعدةَ لى فقــلت: لا والله يا سيدى مــا فىَّ فَضْلٌ، فــقال للذى يليــنى: ما تقولُ؟ فقال: مــا فِّىَ فَضْلٌ فقال: لو كُنْتَ شبعــانَ لحلفْتَ كما حَلَفَ أبو عبد الله، فَحَلَفَ الرجلُ أنه شَبْعَانُ. فقال للآخر الذى إلى جانبه فَحَلَفَ فلم يَزَلْ يستقرئ واحــدًا، واحدًاويحلفُ أنه شبعان. ومن لم يَحْلفْ قال له: لو كنتَ شبعانَ لحلفتَ فَيَحْلفُ الرجلُ، فلما استوثقَ من جمــاعتنا بالأَيْمــان وثَلُجَ صَدْرُه آنه لا حَيْلَة لأحــد منا فى الأكل قال: أما أنــا فقد تَتَبَّــعَتْ نفسى أَكْلَ شَحْم كُلاهُ حَــارًا فقلنا له: كُلْ هَنَأَكَ اللهُ فقال: يا غــلام ضَعْ الطيفُورِيَّةَ فَتُرِكَتْ بين يديه فــأكل أكثَر الجَدْى وَحْدَهُ وأَمَرَ بِرَفْعِ بَاقيه وحِفْظِه

البخلاء للخطيب البغدادى ص١٤٣

(٩)

بُخْــلُ أهــل مـــرو

قــال أصحــابُنا: يقــول المَرْوَزِىُّ للزائر إذا أتــاه وللجليس إذا طال جلوسُهُ تَغَدَّيْتَ اليومَ؟ فإن قــال: نعم قال: لولا أنك تغديت لغديتُكَ

بغَدَاء طَيِّب، وإن قـال: لا، قال: لو كُنْتَ تَغَدَّيْتَ لَسَـقَيْتُكَ خَمْـسَةَ أَقْداحٍ فلا يصير في يده على الوجهين قليلٌ ولا كثير..

وقال أحمـد بن رشيد كنت عند شيخ من أهلِ مَرْوٍ وصَبِيٌّ صـغيرٌ له يَلْعَبُ بين يديه، فـقلت له إمَّا عابثًا وإما مُـمْتَحِنًا: أَطْـعِمْنى من خُبْزِكم قـال: لا تريدُهُ هو مُرٌّ، فقلتُ: فَأَسْـقِنى من مائكم قال: لا تُرِيدُهُ هو مَالِحٌ.

قلت: هَاتِ لى من كـذا وكذا، قال: لا تريده هو كـذا وكذا إلى أن عَدَدْتُ أصنافًا كثيرةً كلٌّ ذلك يَمْنَعُنِيـه ويبغِّضُه إلىَّ، فَضَحِكَ أبوه وقال: مـاذَنْبُنَا؟ هذا من عَلَّمَهُ ما تَسْـمَعُ؟ يَعْنِى أن البُخْلَ طَبْعٌ فـيهم وفى أَعْرَاقِهِم وطِينَتِهِم.

البخلاء للجاحظ ص١٣

(١٠)

لو خرجت من جلدك لم أعرفك

ومِنْ أَعَاجِيبِ أهل مَـرْوٍ ما سمعْناه من مَشْيَـخَتِنَا على وَجْهِ الدهرِ وذلك أنَّ رجـلاً من أهل مَرْوٍ كـان لا يزالُ يَحُجُّ ويَتَّجِـرُ ويَنْزِلُ على رجل من أهلِ العراقِ فـيكْرِمُهُ ويكْفِيـهُ مُؤْنَتَهُ ثم كـان كثيرًا مـا يقول لذلك العراقى: ليت أنى قد رأيتُك بِمَرْوٍ حتى أُكافِئَكَ لقَدِيمِ إحسَانِكَ وما تَجَدَّدَ لى من البِرِّ فى كل قَدْمِةٍ، فأما هَهنا فقدْ أغناكَ اللهُ عنى.

قال: فَعَرَضَتْ لذلك العراقى بَعْدَ دَهْرٍ طويلٍ حَاجَةٌ فى تلك الناحية فكان مما هوَّن عليه مُكَابَدَةَ السفرِ ووَحْشَيَةَ الاغتراب مكَانُ المَرْوَزى هناك، فلما قَدِمَ مَضَى نَحْوَه فى ثِيَاب سَفَرِه وفى عِمَامَته وقَلَنْسُوَتِه وكِسَائِه ليَحُطَّ رَحْلَهُ عنده كما يَصْنَعُ الرجلُ بثِقَتِه ومَوْضعِ أنسه، فلما وَجَدَهُ قَاعدًا فى أصْحَابه أكبَّ عليه وعانَقَهُ فلم يَرَهُ أثْبَتَهُ ولاَ سَألَ به سُؤالَ من رآه قَطُّ. قال العراقى فى نَفْسه: لعل إنكاره إيَّاىَ لمكان القِنَاع فَرَمَى بقناعه وابْتَدَأ مُسَاءلَتَهُ فَوَجَدَه أشَدَّ ما كان إنكارا قال: فلعله إنما أُتىَ من قِبَلِ العِمَامة فَنَزَعَها ثم انْتَسَبَ وجَدَّدَ مساءلَتَهُ فوَجَدَهُ أشدَّ ما كان إنكاراً قال: فلعله إنما أُتىَ من قِبَلِ القَلَنْسُوة وعَلِمَ المروزى أنه لم يَبْقَ شىءٌ يَتَعَلَّقُ به المُتَغَافِلُ والمُتَجَاهِلُ فقال: لَوْ خَرَجْتَ من جِلْدِكَ لم أعْرِفْكَ.

البخلاء للجاحظ ص١٧

(١١)
محفوظ النقاش

صحبنى محفوظُ النقاشِ من مسجد الجامع ليلاً فلما صِرْتُ قُرْبَ منزله وكَانَ منزلُهُ أقربَ إلى مسجدِ الجامعِ من منزلى، سألنى أنْ أبيتَ عنده وقال: أين تذهب فى هذا المطرِ والبَرْد ومنزلى منزلُكَ وأنت فى ظُلْمَةٍ وليس معك نَارٌ وعندىَ لَبَأٌ[1] لم يَرَ الناسُ مِثْلَهُ وتمرٌ

(١) لبأ. أول اللبن بعد الولادة.

ناهيكَ به جَوْدَةً لا تَصلُحُ إلا لَهُ فَملْتُ معه فَأَبْطَأ ساعةً، ثم جاءني بِجَامٍ لَبَأٍ وطَبَقِ تَمرٍ فلما مَدَدْتُ قال: يا أبا عثمان إنه لَبَأٌ وغلَظُهُ، وهو الليلُ ورُكُودُهُ، ثم ليلةُ مطرٍ ورطوبةٍ وأنت رجلٌ قد طَعَنْتَ في السن ولم تَزَلْ تشكُو من الفَالِجِ طَرَفًا، وما زال الغَليلُ يُسْرِعُ إليك وأنت في الأصل لستَ بصاحب عَشَاء فإن أكلْتَ اللبأ ولم تُبَالِغْ كنتَ لا آكلاً ولا تَاركًا وحَرَّشْتَ طباعَكَ ثم قطعت الأكل أشْهى ما يكونُ إليك، وإن بالغْتَ بِتْنَا في ليلةٍ سوء من الاهتمامِ بأمرك ولم نعدّ لك نبيذًا ولا عسلاً، وإنما قلتُ هذا الكلامَ لئلا تقولَ غدًا: كان وكان والله قد وقعت بين نَابَي الأسد لأني لو لم أجئْكَ به وقد ذَكَرْتُه لك قلتَ: بَخِلَ به وبَدَا له فيه، وإن جئْتُ به ولم أُحَذِّرْكَ ولم أُذَكِّرْكَ كَلَّ ما عليك فيه قلتَ: لم يُشفقْ عليَّ ولم يَنْصَحْ فقد بَرِئْتُ إليك من الأمْرين جميعًا فإن شئْتَ فَأَكْلَةٌ ومَوْتَةٌ وإن شئت فَبَعْضُ الاحتمال ونَوَمٌ على سلامة.

فما ضحكتُ قَطُّ كَضَحكي تلك الليلةَ ولقد أكَلْتُهُ جميعًا فما هَضَمَهُ إلا الضحكُ والنشاطُ والسرورُ فيما أظن ولو كان معي من يَفْهَمُ طيبَ ما تكَلَّمَ به لأتى عليَّ الضحكُ أو لقضى عليَّ ولكن ضَحِكُ من كان وَحْدَهُ لا يكوُن على شَطْرِ مُشَارَكَةِ الأصحابِ.

البخلاء للجاحظ ص١١١

(١٢)
فلسفة البخلاء

وقلت للحِزَامى مَرَّةً: قد رضيتَ أنْ يُقالَ: عَبْدُ الله بخيلٌ قال: لا أَعْدَمَنِى اللهُ هذا الاسمَ.

قلت: وكيف؟

قال: لايُقالُ فُلاَنٌ إلا وهو ذو مَال فَسَلِّمْ إلىَّ المالَ وادْعُنى بأى اسم شِئْتَ قُلْتَ: ولا يقالُ فلانٌ سَخِىٌّ إلا وهو ذو مال فقد جَمَعَ هذا الاسم الحَمْدَ والمَالَ واسْمُ البخل يجمع المالَ والذمَّ، فقد اخترتَ أَخَسَّهُما وأوضَعَهُما

قال: وبينهما فَرْقٌ.

قلت: فَهاتِه.

قال: فى قولهم بخيلٌ تَثْبيتٌ لإقامةِ فى مُلْكه، وفى قولهم سخىٌّ إخبارٌ عن خُرُوجِ المال من مُلْكهَ، واسمُ البخيلِ اسمٌ فيه حفْظٌ وذَمٌّ واسمُ السخى اسمٌ فيه تَضْييعٌ وحَمْدٌ، والمالُ زَاهِرٌ نافعٌ مُكْرِمٌ لأهله مُفرٍ والحمْد ريحٌ وسُخْرِيَةٌ واستماعُكَ له ضَعْفٌ وفُسُولَةٌ[1] وما أقَلَّ

(١) فسولة. نذاله وخسة.

غَنَاءَ الحمد - والله - عنه إذا جاع بطْنُهُ وعَرِىَ جِلْدُهُ وضَاعَ عِيَالُهُ وشَمِتَ به من كان يَحْسُدُه.

البخلاء للجاحظ ص٥٥

(١٣)
تحذيرٌ من بخيل

حدثنى أبو عبد الله محمدُ بن فَتُّوح الأندلسى قال: كتب بعضُ الأدباء إلى بعضِ إخوانه يُشَاوِرُهُ فى قَصْد بعضِ الرؤساء تأميلاً له واستدْعَاءً لنَائله وكان معروفًا بالبخلِ فكتَب إليه: بسم الله الرحمن الرحيم. كتَبْتَ إلىَّ تسْألُنى عن فلانٍ وذكرتَ أنك هَمَمْتَ بزيارته وحدثتَ نفسَكَ بالقدومِ عليه فلا تفعلْ - أمْتَعَ اللهُ بك - فإنَّ حُسْنَ الظنِ به لا يقع إلاّ بخِذْلانٍ من الله وإن الطَمَعَ فيما عنده لا يَخْطُرُ على القلوبِ إلا من سوء التوكلِ على الله، والرجاءُ لما فى يديه لا يَنْبغِىَ إلا بَعْدَ اليأسَ من رَوْحِ الله لأنه رجلٌ يرى التقتيَر الذى نهى اللهُ عنه هو التبذيرُ الذى يُعَاقبُ عليه، وأن الاقتصاد الذى أَمَرَ اللهُ به هو الإسرافُ الذى يعذِّبُ عليه، وأنَّ بنى إسرائيل لم يَسْتَبْدلوا العَدَسَ بالمنِّ والبَصَلَ بالسلوى إلا لفَضْلِ أَحْلامِهم وقَديم علمٍ تَوارَثُوه عن آبائهم، وأنَّ الضيافةَ مدفوعةٌ والهِبَةَ مكروهةٌ وأن الصدقة منسوخَةٌ وأن التوسعَ ضلالةٌ والجُودَ فِسْقٌ والسخَاءَ من هَمَزَاتِ الشياطين. . .

وهل يَخْشَى العقابَ إلا على الإنفاقِ ويرجو العفَو إلا على الإمساكِ ويَعِدُ نَفْسَهُ بالفقر ويأمُرُها بالبخلِ خِيفَةَ أن تنزلَ به قَوارِعُ الظالمين ويصيبَهُ ما أصاب الأولين. فأقم - رحمك الله - بمكانك واصْبِرْ على عَضّ زَمَانك وامضِ على عُسْرَتِكَ عسى اللهُ أن يُبْدِلَ لك خيرًا منه زَكَاةً وأقربَ رُحْمًا.

البخلاء لخطيب البغدادى ص٩٩

(١٤)
حيلة بخيل

كان زيادُ بنُ عبيد الله الحارثى واليًا على المدينة وكان فيه بُخْلٌ وجَفَاءٌ، فَأَهْدَى إليه كاتبٌ له سِلالاً فيها أَطْعِمَةٌ وقد تَنَوَّقَ فيها فوافَتْهُ وقد تَغَدَى فقال: ما هذه؟ قالوا: غَدَاءٌ بعثه فلانٌ الكاتب فغضب وقال: يَبْعَثُ أحدُهم الشيءَ فى غيرِ وقته - يا خَيْثَمُ بن مالك يريدُ صَاحِبَ شُرْطَتِه، ادْعُ لى أَهْلَ الصُّفَّة يأكلون هذا فبعث خيثمٌ الحرسَ يدعونهم فقال الرسولُ الذى جاءَ بالسلال: أصلحَ اللهُ الأميرَ لو أمرت بهذه السلالِ تُفْتَحُ ويُنْظَرُ ما فيها.

قال: اكْشِفُوها؛ فإذا طعامٌ حَسَنٌ من دَجَاجٍ وفِرَاخٍ وجَدَاءٍ وسَمَكٍ

وأَخْبِصَة وحَلْوَاء فـقال: ارفعوا هذه السلالَ وجاء أهلُ الصُّفَّـة فأُخْبِرَ بهم فَأَمَرَ بإحضارِهم وقال: يا خيثمُ اضْرِبْهُم عَشَرَةَ أسواطٍ فإنه بَلَغَنى أنهم يَفْسُونَ فى مسجد رسول الله ﷺ.

نهاية الأرب للنويرى ج٣ ص٣٠٥

وانظر أيضا: العقد الفريد

لابن عبد ربه ج٧ ص١٧٢

ونثر الدُّرّ للآبى ج٣ ص٢٩٤

(١٥)
لا يَمتَـدُّ إلىَّ أمَـلُ آمِـل

ومن رُؤساء أَهْلِ البُـخْلِ محمدُ بنُ الجـهم وهو الذى قال: وَدَدْتُ أنَّ عَشَرَةً من الفُقَـهاء وعشرةً من الشعراء وعشـرةً من الخطباء وعشرةً من الأدباء تَواطَئُوا على ذَمِّى واستَهَلُّوا بِشَـتْمِى حتى يُنْشَرَ ذلك عنهم فى الآفاقِ حتى لا يَمْتَدَّ إلىَّ أَمَلُ آمِلٍ ولا يَنْبَسِطَ نَحْوى رَجَاءُ رَاجٍ.

وقال له أصحابه: إنما نَخْشَى أن نَقْعُـدَ عِنْدَكَ فَوْقَ مِقْدَارِ شَهْوَتِكَ فَلَوْ جَعَلْتَ لنا علامةً نَعْرِفُ بها وَقْتَ استحسانكَ قيامَنَا.

قال: عَلامَةُ ذلك أَنْ أقولَ: يا غلامُ هَاتِ الغَدَاءَ

العقد الفريد لابن عبد ربه ج٧ ص١٦٩.

(١٦)
البخيل وأولاده

قال رجُلٌ من الأعرابِ لولده: اشْتَرُوا لِىّ لحمًا. فاشتَروهُ فَطَبَخَهُ حتى تَهَرَّى وأكلَ منه حتى انْتَهَتْ نَفْسُهُ وشَرَعَتْ إليه عُيُونُ وَلَدِهِ فقال: ما أنا بِمُطْعِمِهِ أحدًا منكم إلا من أحْسَنَ وَصْفَ أكْلِهِ.

فقال الأكبر منهم: آكُلُهُ يا أَبَتِ حتى لا أَدَعَ لِذرَّةٍ فيه مَقِيلا.

قال: لستَ بِصَاحِبِهِ.

فقال الآخر: آكُلُهُ حتى لا يُدْرَى ألِعَامِهِ هو أم لِعَامٍ أوَّلَ.

قال: لست بصاحبه.

فقال الأصغر: أدُقُّهُ يا أبتِ دقًا وأجْعَلُ إدَامَهُ المُخَّ.

قال: أنت صاحِبُهُ هو لك.

عيون الأخبار لابن قتيبة ج٣ ص٢٣٥.

(١٧)
الطعام والسجن

مَرَّ مِسْكينٌ بأبى الأسْوَدِ لَيْلاً وهو يُنَادى: أنا جَائعٌ فأدْخَلَهُ وأطْعَمَهُ حتى شَبِعَ ثم قال له انْصَرِفْ إلى أهْلِكَ وأتْبَعَهُ غُلامًا وقالَ له: إنْ

سَمعتَهُ يَسْأَلُ فارْدُدْهُ إليَّ. فلما جَاوَزَهُ المسكينُ سأل كعادته فَتَشَبَّثَ به الغلامُ وردَّهُ إلى أبى الأسود فقال: ألم تَشْبَعْ؟ فقال: بَلَى

قال: فما سُؤالُكَ؟ ثم أَمَرَ به فَحُبِسَ فى بَيْتٍ وأُغْلِقَ عليه البابُ وقال: لا تُرَوِّعْ مُسْلمًا سَائرَ الليلةِ ولا تَكْذِبْ فلما أَصْبَحَ خَلَّى سبيلَهُ وقال: لو أطَعْنَا السُّؤَّالَ صِرنَا مِثْلَهم.

وسمعَ دابَّةً تَعْتَلِفُ فى جَوْفِ الليلِ فقال: إنى لأراكِ تَسْهَرِينَ فى مَالى والناسُ نِيَامٌ واللهِ لا تُصْبِحِيْنَ عندى وَبَاعَهَا.

الإمتاع والمؤانسة ج٣ ص٣٣

(١٨)
استحى فأكلَ

ضَمَّ عثمانَ بنَ رواحٍ السفرُ ورفيقًا له فقالَ له الرفيقُ: اِمْضِ إلى السوقِ فاشْتَرِ لنا لَحمًا.

قال: واللهِ ما أَقْدِرُ.

قال: فَمَضَى الرفيقُ واشْتَرَى اللحمَ.

ثم قال لعثمانَ: قُمْ الآنَ فاطْبُخ القِدْرَ.

قال: واللهِ ما أَقْدِرُ فَطَبَخَها الرفيقُ.

ثم قال: قُمْ الآنَ فَاثْرُدْ.

قال: واللهِ إني لأَعْجِزُ عن ذلك فَثَرَدَ الرفيقُ.

ثم قال: قَمْ الآنَ فَكُلْ.

فقال: واللهِ لقد استَحْيَيْتُ من كَثْرَةِ خِلافِي عليكَ ولولا ذلك ما فَعَلْتُ.

الإمتاع والمؤانسة ج٣ ص٤٠.

(١٩)

أموت ولا أتقيَّأ

حدثنا نَاجِيَةُ بنُ عبد الله البصرى قال: كان عندنا بالبصرة رجلٌ مُيَسَّرٌ وكان بخيلاً على نفسه وعلى عِيَاله فدعاه بعضُ جيرانه فوضعَ بين يديه طُبَاهجَة[1] بَيْضٍ فأكل فأكثرَ، وجعلَ يشربُ الماءَ فانْتَفَخَ بَطْنُهُ ونزل به الكَرْبُ والموتُ فجعل يَتَلَوَّى، فلما أَجْهَدَهُ الأمرُ وخافَ

(١) طباهجة: طعام من بيض وبصل ولحم.

الموتَ على نفسه بعثَ إلى جَار له مُـتَطَبِّب فدخلَ عليـه فقـال: ما حَالُكَ؟ قـال: أكلْتُ طُبَاهجَةَ بَيْضٍ وشـربْتُ ماءً كثيـرًا وقد نَزَلَ بى الموتُ فقال: لا بَأْسَ عليك قُمْ فَتَقَيَّأْ ما أَكَلْتَ وقد بَرِئْتَ.

فقـــال: هَاه أتقيـــأ طبـاهجةَ بيضٍ؟ أَمُوتُ ولا أتقـيأُ طبـاهجة بيضٍ أبدًا.

البخلاء للخطيب البغدادى ص٧١.

(٢٠)

لا تمسَّ الدرهمَ إلا بثوبٍ

قال محمدُ بنُ أبى المعافَى: كان أبى متنحيًا عن المدينة وكانَتْ إلى جَنْبِه مزرعةٌ فيـها قثَّاءٌ وكنْتُ صبيًا قد تَرَعْرَعْـتُ فجاءنى من جيراننا أقرانٌ لى وكلمت أبى لِيَهَبَ لى درهمًا أشتـرى لهم به قثاءً فقال لى: أَتَعرِفُ حَالَ الدرهم؟ كـان فى حَجَرٍ فى جَبَلٍ فَضُـرِبَ بالمعاولِ حتى استُـخْـرِجَ ثم طُحِنَ، ثم أُدْخِلَ الـقـدورَ وَصُبَّ عليـه الماءُ وجُـمِعَ بالزئبَقِ، ثم أُدخلَ النارَ فَسُـبِكَ، ثم أُخْرِجَ فَضُرِبَ، وكُـتبَ فى أَحَدِ شقَّيْه لا إله إلا الله وفى الآخر محمـدٌ رسولُ الله، ثم صُيِّرَ إلى أمير المؤمنين فـأَمَـرَ بإدْخَالـهِ بَيْتَ مَاله ووكَّـلَ به عُوَجَ القَـلانِسِ صُـهْبَ

السبَال، ثم وَهَبَهُ لجارية حَسْنَاءَ جميلة، وأنت والله أقْبَحُ من قِرْد، أو رَزَقَهُ رجلاً شجاعًا وأنت والله أَجْبَنُ من صَافِرٍ فهل ينبغى لكَ أن تَمَسَّ الدرهَم إلا بثوب.

نثر الدرّ للآبى ج٣ ص٢٩٣

ونهاية الأرب للنويرى ج٣ ص٣٠٢

(٢١)
فوائد الرءوس

كان مروانُ بنُ أبى حَفْصَةَ لا يأكلُ اللحمَ بُخْلاَ حتى يَقْرَمَ[١] إليه، فإذا قَرِمَ أرسلَ غلامَهُ فاشترى له رَأْسًا فَأَكَلَهُ فقيل له: نَرَاك لا تأكلُ إلا الرءوسَ فى الصيفِ والشتاءِ فلم تَخْتَارُ ذلك؟ فقال: نعم الرأسُ أَعْرِفُ سِعْرَه فآمن خيَانَةَ الغُلامِ ولا يَسْتَطِيعُ أن يَغْبِنَنى فيه وليس بِلَحْمٍ يَطْبَخُه الغلامُ، فَيَقْدرُ أن يأكلَ منه، إن مَسَّ عينًا أو أُذُنًا أو خدًا، وَقَفْتُ على ذلك، وآكُلُ منه أَلْوَانًا آكلُ عَيْنَهُ لونًا وأُذُنَيْهِ لَوْنًا

(١) يقرم إليه. يشتهى اللحم بشدة.

وغُلْصُمَتَهُ(١) لونًا ودِمَاغَه لونا وأُكْفى مؤُونَةَ طَبْخِهِ فقد اجْتَمَعَتْ لى فيه مَرَافِقُ.

البخلاء للخطيب البغدادى ص٨١
والأغانى للأصبهانى ج١٠ ص٧٧
وانظر قصة مشابهة لذلك
فى بخلاء الجاحظ ص٩٥

- ٢٢ -

يتَجَمَّلُ بالعظام أمامَ دارِهِ

قال عمرو بنُ ميمون: مررتُ ببعضِ طُرُقِ الكوفة فإذا أنا بِرَجُلٍ يُخَاصِمُ جارًا له فقلتُ: ما بالُكُما؟ فقال أحدهُما: إن صديقًا لى زَارَنى واشْتَهى علىَّ رأسًا فاشْتَرَيْتُهُ له وتَغَدَّيْنَا، فأخذتُ عظَامَهُ فَوَضَعْتُها أمامَ دارى أَتَجَمَّلُ بها عِنْدَ جِيرانى، فجاءَ هذا وأَخَذَها ووَضَعَها على بابِ دَارِهِ يُوهِمُ الناسَ أَنَّهُ هو الذى أَكَلَ الرأسَ.

العقد الفريد لابن عبد ربه ج٧ ص٢٨٣
وانظر عيون الأخبار لابن قتيبة ج٣ ص٢٨٣
وانظر أيضا نثر الدر للآبى ج٣ ص٢٨٢.

(١) الغلصمة: اللحم بين الرأس والعنق.

(٢٣)

يأكل فى مُنْتَصَفِ الليـل

كان بعضُ البخلاء يَأْكُلُ نصفَ الليل فقيل له فى ذلك فقال: يَبْرُدُ الماءُ ويَنْقَمِعُ الذبابُ وآمَنُ فَجْأَةَ الداخِلِ وصَرْخَةَ السائلِ وصِيَاحَ الصبْيان.

نثر الدر للآبى ج٣ ص٢٨٥

وانظر نهاية الأرب للنويرى ج٣ ص٣٢٨.

(٢٤)

يقلبُ صِبْيَانَهُ وهم نِيَامٌ

وقال بعضُهم: بِتُّ عند رجلٍ من أهلِ الكوفةِ الموُسِرين، وله صِبْيَانٌ نِيَامٌ فرأيْتُهُ فى الليل يَقُومُ فَيُقَلِّبُهُمْ من جَنْبٍ إلى جَنْبٍ، فلما أصْبَحْنا سألْتُهُ عن ذلك فقال: هؤلاءِ الصبْيَانُ يَأكُلُونَ ويَنَامُونَ على اليَسَارِ فَيُمْرِيهِمُ الطعامُ ويصْبِحَونَ جِياعًا، فأنا أقلبهم من اليسار إلى اليمين لئلا يَنْهَظِمَ ما أكلوه سَرِيعًا.

نهاية الأرب للنويرى ج٣ ص٣٠٥

وانظر: نثر الدار للآبى ج٣ ص٢٧٩.

(٢٥)
أجْهزوا على الجَرْحَى

ودخلتُ يومًا على عـبدِ الله بن يحيى بن خالد والمائدةُ مـوضوعةٌ والقَوْمُ يأْكُلونَ، وقد رَفَعَ بعضُهُم يَدَهُ فَمَدَدْتُ يدىَ لآكلَ فقال: أَجْهِزْ على الجَرْحى ولا تَتَعَرَّضْ للأصِحاء يـقول: تَعَرَّضْ للدجاجة التى قد نِيْلَ منها والفَرْخَ المأخوذَ منه فأما الصَحيحُ فلا تَتَعَرَّضْ له، هذا معناه فى الجَرْحى والأصِحَّاء.

العقد الفريد لابن عبد ربه ج٧ ص١٧٣

وانظر: عيون الأخبار ج٣ ص٢٧٣

وأصل القصة فى بخلاء الجاحظ ص٣٧

(٢٦)
أصلى ركعتين بين لقمة وأخرى

قال بعضُهم لبخيل: لِمَ لا تَدْعُونى يومًا؟

قال: لأنكَ جيِّدُ المَضْغِ سريعُ البَلْعِ إذا أَكَلْتَ لُقْمَةً هيَّأْتَ أُخْرى.

قال: فَتُرِيدُ منى إذا أكلتُ لُقْمَةً أنْ أُصَلىَ ركعتين ثم أعود إلى الثانية؟

نثر الدر للآبى ج٣ ص٢٧٥.

(٢٧)
المِصْبَاح

وزَعَمَ أصحابُنا أن الخُرَاسانيَة ترافَقُوا فى مَنْزِل وصَبَّروا عن الارْتفَاق بالمِصْبَاحِ ما أمْكَنَ الصبرُ، ثم إنهم تَنَاهَرُوا وتَخَارَجُوا، وأبَى واحدٌ منهم أن يُعينَهُم وأنَ يَدْخُلَ فى الغُرْمِ معهمَ، فكانوا إذا جاءَ المصباحُ شَدُّوا عَيْنَه بمنديل ولا يزال ولا يزالونَ كذلك إلى أن يَنَاموا ويُطْفِئُوا المصباحَ فإذا أطْفئوه أطْلَقوا عينيه.

البخلاء للجاحظ ص١٤

وانظر نثر الدر للآبى ص٢٨٢

(٢٨)
الوحدة

قال أبو نواس: كان معنا فى السفينة - ونحن نُريدُ بغدادَ - رجلٌ من أهل خُراسان وكان من عُقَلائِهم وفُقَهائهم فكان يأكلُ وَحْدَهُ فقلت له: تأْكُلْ وحَدَكَ؟

قال: ليس عليَّ في هذا المَوْضِعِ مَسْـألةٌ، إنما المسألةُ على من أكَلَ مع الجَمَـاعَة لأن ذلك هو التَّكَلُّفُ وأَكْلِي وَحْـدِي هو الأصلُ وأَكْلِي مع غَيْرِي زِيَادَةٌ في الأصْلِ.

البخلاء للجاحظ ص١٩

(٢٩)

أغلِقِ البابَ وأتِ بالطعام

قال رجل من البخلاء لغلامه:

هَاتِ الطعامَ وأغلق الباب.

فقال: هذا خطأ بل أغلق الباب وأتِ بالطعام.

قال: أنت حرٌّ لعِلْمِك بالحَزْمِ.

البخلاء للخطيب البغدادي ص٨٤

وانظر نثر الدر للآبي ج٣ ص٢٨٨

(٣٠)
أصومُ الاثنين والخميس

قال رجلٌ لغلامٍ: بكم تعمل معى؟

قال: بطعامى.

قال له: أَحْسِنْ قَليلاً.

قال: فَأَصُومُ الاثنينَ والخميسَ.

نثر الدر للآبى ج٣ ص٢٨٣

(٣١)
أقصوصة شعرية

صديقٌ لنا من أَبْرَعِ الناس فى البُخْلِ ... وأفضلهم فيه وليسَ بذى فَضْلِ

دَعَانى كما يدعُو الصديقُ صديقَهُ ... فَجِئْتُ كما يأتى إلى مِثْله مِثْلى

فلما دَنَوْنَا للطعامِ رَأَيْتُهُ ... يَرَى أَنَّهُ منَ بَعْضِ أعضائه أَكْلى

ويَغْتَاظُ أحيانًا ويَشْتُمُ عَبْدَهُ ... وأعلمُ أن الغَيْظَ والشتمَ من أَجْلى

أَمُدُّ يدًا سِرًا لآخُذَ لُقْمَةً ... فَيَلْحَظُنى شَزْرًا فَأَعْبَثُ بالبَقْلِ

إلى أن جَنَتْ كفى لِحَـيْنى جِنَايَةَ ... وذلك أنَّ الجـوعَ أَعْـدَمَـنى عَـقْلى
وأَهْوَتْ يمينى نَحْوَ رِجْلِ دَجَـاجَة ... فَجُرَّتْ كما جَرَّتْ يدى رجلهَا رجلى
وَقَـدَّمَ من بعـد الطعـامِ حَـلاوةً ... فلم أَسْـتَطِعْ فيـها أَمِـرُّ ولا أُحْلِى
فلو أننى قـد كُـنْتُ بِتُّ بِبَـيْـتِـهِ ... رَبِحْتُ ثوابَ الصومِ مَعْ عَدَمِ الأكلِ

البخلاء للخطيب البغدادى ص١٧٨

وانظر: نهاية الأرب للنويرى ج٣ ص٣١٣.



القسم الثانى
الدراسة

(١)
البخل فى الكتاب والسنة

البخل من الـصفات المذمـومة القبـيحة فى كـل الشرائع والأديان وعند كل الأمم فى مختلف العصور والأزمان.

فـقـد نهى القـرآن الكريم عن البـخل والشـح وحث على الكرم والجود والسخاء، وجاءت الأحاديث النبـوية الشريفة تحذر من البخل وتنفر منه وتصور البخيل فى أبشع صـورة وأقبح مقال، وما ذلك إلا لأن البخـيل ضعـيف الإيمان بالله والاتكال عليه، يُغَلِّـبُ سوء الظن والخوف من الفقـر على السماحة والرضـا والقناعة والإيمان بالتكافل الاجتمـاعى، ولذلك فالبخيل منبوذ من الناس مـذموم على ألسنتهم ومهما جمع من المال وكنز فإن ذلك لا يزيد من قيمته الاجتماعية ولا من تفاعله مع المجتمع وإحساسه بحال الفقراء المساكين المحتاجين إلى البذل والعطاء.

(٢)
البخل فى التراث العربى

وقد حفل التراث العربى منذ العصر الجاهلى وعلى امتداد التاريخ بالنصوص الشعـرية والنثرية التى تهاجم البخل والـبخلاء وترسم لهم

صوراً بشعة وتروى عن بخلهم وتقتيرهم العجائب والغرائب، وفى مقابل ذلك ترسم صورة مشرقة جميلة لأهل الكرم والبذل والعطاء.

وقد تعددت مجالات الحديث عن البخل والبخلاء فى الشعر والنثر ففى الشعر نجد باب الهجاء من أوسع أبواب الشعر العربى وأحفلها بالحديث عن البخيل، لأن صفة البخل من أحقر الصفات وأكثرها دورانًا على ألسنة شعراء الهجاء.

وفى باب المديح نجد الحديث عن الكرم فى مقابل البخل، وأحيانًا يتطرق المادح إلى نفى صفة البخل عن الممدوح، وكذلك فى باب الرثاء يكثر الشعراء من نفى صفة البخل وإثبات صفة الكرم والجود للميت.

وفى باب الوصف نجد الشعراء قد تفننوا فى وصف البخلاء وتصويرهم فى أبشع صورة مما يؤدى إلى تنفير الناس من هذا الخلق الذميم، بل إن بعض الشعراء قد رسم للبخلاء صوراً ساخرة أقرب ما تكون إلى فن (الكاريكاتير) المعاصر.

وفى النثر العربى حديث واسع جميل عن البخل والبخلاء يتجلى ذلك فى الرسائل والمقامات والحكايات والمؤلفات..

فالتحذير من البخل مادة من مواد فن الرسائل الأدبية، وشخصية البخيل ورسم حركاته وسكناته وحيله وشخصيته المتلهفة على المادة موجودة فى (فن المقامات) بشكل واضح جلى وبخاصة عند بديع الزمان والحريرى.

وفى باب (الحكايات) وأحاديث السمر نجد الحديث متشعبًا عن البخل والبخلاء، كما أن المؤلفات التى تحدثت عن البخل والبخلاء كثيرة جدًا فى التراث العربى سواء أكان ذلك ضمن أبواب الأدب العامة أم عن طريق إفراد أبواب وفصول للحديث عن البخلاء أو الحديث عن (الطعام) وآداب المؤاكلة.

كما أن هناك الكتب المفردة عن البخل والبخلاء.

(٣)
البخل فى الأدب العربى الحديث

ولم يتوقف الأدباء العرب عن الحديث عن البخل والبخلاء، بل امتد ذلك إلى العصر الحديث، فنجد الشعراء المعاصرين يرسمون صورة البخيل في شعرهم، وربما ارتبطت صورته بصورة (المرابى) ومصاصى دماء الفقراء، كما أن كتاب النثر الفنى قد استمروا فى الحديث عن البخلاء وتصوير مظاهر بخلهم ومضاره.

وشاركت الفنون الأدبية الحديثة كالأقصوصة والقصة والمسرحية والتمثيلية الإذاعية والتلفارية فى التحذير من البخل ورسم صورة أدبية منفردة للبخيل.

(٤)
البخل فى الآداب العالمية

ويبدو أن صورة البخيل إنما هى نموذج إنسانى عام تحدثت عنه كل الآداب العالمية القديمة كاليونانية والرومانية، والآداب الحديثة كالإنجليزية والفرنسية والأسبانية والروسية مما يفتح مجالاً خصبًا لدراسات أدبية مقارنة لصورة البخيل فى الأدب العربى وتلك الآداب العالمية، وأعتقد أن فى أدبنا العربى على امتداد عصوره وتنوع فنونه مادة أدبية عن البخل تضع الأدب العربى ـ عند المقارنة بالآداب العالمية الأخرى - فى مكانة رفيعة، ويكفى الأدب العربى فخرًا فى هذا المجال كتاب (البخلاء) للجاحظ.

(٥)
عرض لأشهر المؤلفات فى البخل والبخلاء

ونعود إلى حركة التأليف عن البخل والبخلاء فى التراث العربى لنجدها قد بدأت بأحاديث وحكايات وروايات جمعها الأصمعى وأبو عبيدة وغيرهما من رواة الشعر والأخبار، ووردت مشتتة لكنها هى النواة الأولى لأخبار البخلاء وقصصهم.

ثم جاء أبو عـثمان الجاحظ فـألف كتابه العظيم (البـخلاء) فكان فتحًا عظيمًا فى هذا الميدان، بل إن مـا جاء بعده عجز عن مجاراته، بل التفـوق عليه ونستطيع أن نقـول إن التأليف عن البخـلاء قد ولد متكامـلاً فى أحسن صورة وأعظم تعـبير على يد الجاحظ فى كـتاب (البخلاء).

ثم جـاء بعد الجـاحظ مجـموعـة من المؤلفين العرب تحـدثوا عن البخلاء ضـمن الكتب الأدبية العامة، فابن قتـيبة (٢١٣ - ٢٧٦ هـ) يفرد فى كتابه (عيون الأخبار) بابًا أو كمـا يسميه كتابا (للطعام) وفيه حكايات وأحـاديث وأشعـار عن البـخل والبخـلاء، وكذلك يفـعل أبوحـيان التـوحيـدى فى كتـابه (الإمـتاع والمؤانسـة) وابن عبـد ربه الأندلسى حيث خص (أخبار البخـلاء) بحديث طويل، وكذلك فعل أبو منصور الآبى (٤٢١هـ) فى كتابه الكبير (نثر الدر) وشهاب الدين النويرى(٦٧٧ - ٧٣٣ هـ) فى كـتـابـه الموسـوعى (نهـاية الأرب) والأبشـيـهى (٧٩٠ - ٨٥٠ هـ) فى كـتـابه (المسـتطرف فى كل فن مستظرف) وغـير هؤلاء كثير بحيث لا يخلو كـتاب من كتب الأدب العامة من حديث عن البخلاء.

ولا بد لنا من وقفة خـاصة أمام من خص البخلاء بكتاب مـستقل بعـد الجاحظ وهنا نصل إلـى الخطيب البغـدادى (٣٩٢ - ٤٦٣ هـ) العالم المحدث المؤرخ صاحب الكتاب الموسوعى الكبير (تاريخ بغداد)

فنجده يؤلف كتابا بعنوان (البخلاء) كما فعل الجاحظ، ويخصصه للحديث عن هذه الطائفة وقد قسمه إلى ستة أجزاء صغيرة أورد فيها الآيات والأحاديث والآثار التى وردت فى ذم البخل والشح والدعوة إلى البذل والعطاء والكرم، ثم أورد أشعارًا كثيرة وحكايات وقصصًا متنوعة عن البخل والبخلاء.

والكتاب نفيس فى بابه، وتأثره بالجاحظ واضح جلى، يتضح ذلك فى إيراده لعدد من القصص الواردة فى كتاب البخلاء، بل وتصريحه بالنقل عن الجاحظ فى مواضع مختلفة، وهذا التأثر لا يعنى التوافق التام فعقلية الرجلين مختلفة وأساليبها متباينة، فالجاحظ كتب كتابه بعقلية الأديب الفنان وكتب الإمام الخطيب البغدادى كتابه بعقلية العالم المحدث المؤرخ الثبت. وقد دعانى ذلك التشابه وذلك الاختلاف إلى كتابة بحث طويل عن الكتابين باسم (البخلاء بين الجاحظ والخطيب).

وجاء بعد الخطيب البغدادى عالم آخر ألف كتابًا عن البخل والكرم بعنوان (إتحاف النبلاء بأخبار وأشعار الكرماء والبخلاء) هو الفقيه الحنبلى جمال الدين يوسف بن حسن بن عبد الهادى الصالحى الدمشقى (٩٠٩ هـ) وهو كتاب صغير لا يرقى إلى مستوى كتاب الخطيب البغدادى ولا إلى مستوى كتاب الجاحظ لكنه يضم أشعارًا وقصصًا وتحليلات لغوية.

(٦)
أسس اختيار النصوص

لا أريد أن أطيل فى الوقوف عند المؤلفات والمؤلفين والتاريخ للتأليف عن البخل ولا عند خصائص كل كتاب فى الموضوع وبخاصة بخلاء الجاحظ، الذى كتب عنه أكثر من كتاب ورسالة جامعية حتى لا يشغلنا ذلك عن قراءة النصوص الواردة فى القسم الأول من هذا الكتاب.

ولن نلتزم فى هذه القراءة بالضرورة بترتيب النصوص بل سننظر إليها باعتبارها نصوصًا متنوعة، لكنها متكاملة تعطى فى مجموعها صورة واضحة عن البخلاء.

وقبل القراءة النقدية لا بد من الإشارة إلى الأسس التى قام اختيار النصوص عليها ويمكن تلخيصها فيما يلى:

(أ) وجدت كمًا هائلاً من النصوص التراثية عن البخل والبخلاء ولو أردت التوسع فى جمع النصوص لكان لى ذلك، ولكنّ القدر المتفق عليه لهذه السلسلة لا يسمح بذلك.

(ب) ركزنا فى الاختيار على القصص والحكايات وتركنا الحديث المباشر أو النكت القصيرة أو أساليب المؤلفين التقريرية فى ذم البخل.

(جـ) اقتصرنا على النثر وتركنا الشعر الذى قيل فى البخلاء، وهو كم هائل ويحتاج إلى دراسة خاصة، واستثنينا من ذلك قطعة شعرية واحدة جعلناها خاتمة الاختيارات لأنها عبارة عن أقصوصة شعرية، وأسلوبها القصصى هو الذى جعلنا نختارها خلافًا للقاعدة.

(د) حاولنا التنويع فى مصادر الاختيار حتى نعطى للقارئ الكريم نماذج مختلفة من أساليب المؤلفين، وإن كان للجاحظ نصيب الأسد من تلك المختارات وهذا أمر طبيعى، فمن يقرأ كتابات الجاحظ وكتابات غيره عن البخلاء لا بد أن ينحاز إلى كتابات الجاحظ لما فيها من إبداع وتصوير فنى رائع ولأن من كتب بعده فى هذا الموضوع إنما هم عيال عليه.

ومصادر اختيار النصوص هى:

- البخلاء للجاحظ.
- البخلاء للخطيب البغدادى.
- عيون الأخبار لابن قتيبة.
- العقد الفريد لابن عبد ربه.
- الإمتاع والمؤانسة لأبى حيان التوحيدى.
- الأغانى لأبى الفرج الأصبهانى.

- نثر الدر للآبى.
- نهاية الأرب للنويرى.
- المستطرف للأبشيهى.

(هـ) بعض القصص والحكايات وردت فى أكثر من كتاب فأشرنا بإيجاز إلى بعض مظان القطعة المختارة وهذا ليس على سبيل الحصر.

(و) لم نتدخل فى النصوص بتعديل لكننا حذفنا بعض المقاطع من النصوص الطويلة وضعنا نقطًا دالة على مكان الحذف وهذا قليل جدًا.

(ز) شرحنا بعض الكلمات التى تحتاج إلى شرح وتجنبنا الإطالة والإكثار من الكلمات المشروحة، كما أننا لم نترجم للأعلام حتى لا نشغل القارئ بأى أمر يصرفه عن تأمل القصة أو الحكاية والاستمتاع بها.

(حـ) حاولنا - قدر الإمكان - أن تكون القصص والحكايات متنوعة تغطى مختلف مناحى القول فى البخل والبخلاء من حرص على الطعام إلى أساليبهم فى التعامل مع الناس إلى وصاياهم لأبنائهم إلى موقفهم من منتقديهم إلى فلسفة البخل من وجهة نظرهم وكأننا أردنا أن يقدم البخلاء أنفسهم للقارئ الكريم من خلال هذه النصوص المتنوعة.

(٧)

المؤتمر العام للبخلاء وقصة معاذ العنبرية

وأول نص اخترناه للجاحظ عن أصحابه من المسجديين كما أسماهم، وهو نص طويل أداره الجاحظ على شكل مؤتمر عام للبخلاء لتدارس أمور البخل والتواصى به والدعوة إلى الاقتصاد والجمع والمنع كما كانوا يسمونه.

وقد مهد الجاحظ للحديث بمقدمة جميلة على شكل رواية حيث قال: قال أصحابنا من المسجديين فهم أولاً أصحابه وذلك أمر معروف من تاريخ الجاحظ ونشأته الفقيرة.

ولعل هذه الصحبة هى التى مكنت الجاحظ من الحديث عن البخلاء عن معايشة واقعية لهم وسبر لأغوارهم ومرصد لحججهم وأدلتهم وتحليل لنفسياتهم وسخرية ظاهرة أو مبطنة منهم.

والمسجديون طائفة من الفقراء وبعض البخلاء التى كانت تلازم مساجد البصرة وتتخذها ميدانا للدرس والمذاكرة. ولذلك فقد أبدع الجاحظ فى اختيار المكان المؤثر ألا وهو المسجد، والمسجد لا يكون إلا للأعمال الجليلة، ومدارسة أمر البخل من عظائم الأمور عند البخلاء.

ثم تأتى العبارة الثانية (ممن ينتحل الاقتصاد فى النفقة والتخير للمال من أصحاب الجمع والمنع) وكأن الجاحظ هنا يورد مصطلحات البخلاء ليسخر منهم أو كأنه يريد أن ينقلنا إلى الجو العام للمؤتمر فهؤلاء البخلاء كأنهم من خبراء المال والاقتصاد فى عصره، وهم فى الغالب كذلك فهذه الطبقة الاجتماعية التى يتحدث عنها الجاحظ هى طبقة الأثرياء المقترين الذين جمعوا المال ونموه عن طريق البخل أو الاقتصاد فى النفقة كما يسمون البخل، وهم أصحاب الاستثمارات المالية التى تعود عليهم بالنفع والمزيد من الذهب والفضة وهم أصحاب الجمع الذين لا يكلون ليلا ولا نهارا من السعى فى طلبه والتماسه بكل الطرق والوسائل المشروعة وغير المشروعة، وهم أصحاب المنع الذين يبخلون بالمال فلا ينفقونه، وسيرد فى الاختيارات أمثلة كثيرة على ذلك.

وبعد هذا التمهيد الممتع الجميل، وبعد أن أصبحنا مهيئين لحضور المؤتمر، بدأ المتحدثون من البخلاء فى تقديم تجاربهم وخبراتهم ليستفيد كل من تجربة أخيه.

وكان أول المتحدثين شيخ كبير عرض تجربته فى الاقتصاد فى استهلاك المياه، ثم تحدث شيخ آخر عن حريم الصناع وكيف جمعت جهاز ابنتها، ثم تحدث شيخ آخر عن تجربته مع النخالة، ثم وصلنا إلى النص الذى اخترناه وهو قصة معاذة العنبرية.

ويلحظ القارىء أن الرجال يتحدثون عن تجاربهم لكن العنصر النسائى له تجاربه فى ميدان الجمع والمنع والاقتصاد، وهنا يتولى الشيوخ عرض التجارب النسائية كما روى الشيخ قصة حريم الصناع وكما روى الآخر قصة معاذة العنبرية.

وقصة معاذة العنبرية تجربة حية فى مجال الاقتصاد المنزلى، وكيف يمكن للمرأة العاقلة المدبرة أن تستفيد من كل شىء فى موضعه المناسب وأن تتجنب الإسراف والتبذير والتفريط فى الأشياء.

جاء عيد الأضحى وأهدى لمعاذة شاة لتذبحها فى العيد وهذا أمر يدعو إلى الفرح والسرور لكن معاذة كانت كئيبة حزينة.

ولماذا هذ الحزن والإطراق والتفكير؟!

هذه أول تجربة لها بعد فقد زوجها الخبير المدبر.

فماذا ستصنع بالشاة وأجزائها وصوفها وجلدها ودمها وفرثها وعظمها؟!

لقد ذهب الذين كانوا يدبرون هذا الأمر ويقومون بحقه!

ولكن ماذا عليك يا معاذة لو ضاع من الشاة القليل القليل؟

تجيب على ذلك بحكمة وتدبر لست أخاف من تضييع القليل إلا أنه يجر إلى تضييع الكثير......

إذن فهذا الوجل والاضطراب والحيرة له ما يبرره!!

فالأشياء لا تقاس وتقدر بأعيانها وإنما ينتج عنها ويترتب عليها.

وبعد ذلك بدأت المرأة تعرض علينا أوجه الانتفاع بكل جزء من أجزاء الشاة ولم تدع شيئا إلا وذكرت استعماله.

لكنها توقفت أمام أمر جلل ألا وهو دم الخروف، وهل تلقيه فى الزبالة أو أن هناك وسيلة للانتفاع به.

منطقها يقول: كل شىء له فائدة.

لكنها لم تصل بعد إلى فائدة الدم.

وأخيرا فتح الله عليها وألهمها حسن التدبير بعد طول التفكير وعرفت كيف تستخدم الدم فى طلاء القدور المخزنة عندها.

وتخزين القدر أمر ينسجم مع البخل ولذلك فقدورها الشامية جدد لم تستعمل.

وإذا كان منطق الشعراء هو المدح بكثرة الرماد وسعة القدور وكثرة استعمالها فإن منطق البخل والبخلاء يختلف عن ذلك فقدور معاذة جديدة لم تستعمل.

وعند هذه النقطة يظن القارئ أن القصة قد انتهت؛ ولكن الجاحظ الكاتب القدير يفاجئه بذيول القصة فالراوى يقول: إنه لقى معاذة بعد ستة أشهر وهى مدة طويلة كافية لأكل الشاة فيسأل عن القديد وهو اللحم المجفف، ويتبادر إلى ذهننا أن الجواب: لقد انتهى كل شىء.

لكن الأمر مع هذه المرأة المدبرة المقتصدة مختلف جدًا.

لم يحن أكل القديد بعد.

ولا ندرى متى يحين؟ لكننا نقول: لكل شيء إبان ووقت مناسب..... أما الأشهر الستة الماضية فقد تنعمت فيها معاذة بأكل الشحم والإلية والجنوب والعظم المعرق.

وبعد عرض التجارب جاء وقت الحكم والتقويم.

فقبض صاحب الحمار والماء قبضة من حصى أسفًا وندمًا على ما فرط؟!

ثم جاءت الخاتمة:

قال: لا تعلم أنك من المسرفين حتى تسمع بأخبار الصالحين.

يا لها من عبارة عظيمة تدل على عظمة الجاحظ وقدراته على الإبداع والتصوير؛ صاحب الحمار وصاحب الماء من المسرفين.

إنها نسبية الأشياء والأفعال.

وهكذا تدرج بنا الجاحظ من بخيل إلى أبخل منه.

فجمع لنا بين الإمتاع والفائدة.

وجعلنا نضحك مع البخلاء.

ونضحك من البخلاء ونسخر من تصرفاتهم.

(٨)
مشكلة تأجير العقارات

ويتحدث النص الثانى عن مشكلة أزلية هى العلاقة بين المؤجر والمستأجر، وبطل القصة هو الكندى، ولا ندرى هل هو الكندى الفيلسوف المشهور أم كندى آخر من أصحاب العقارات فى البصرة، لكن الذى عرفه من خلال النص الذى كتبه الجاحظ وأداره على لسانه أنه صاحب أملاك وعقار، وأنه شخص بخيل لكنه ظريف، وهذا نموذج حى من نماذج الجاحظ التى تجمع بين المتناقضات كالبخل والظرف وخفة الدم.

ولو استعرضنا نظام التأجير الذى ابتدعه الكندى لرأينا عجبًا وكل ما نتمناه ألا يقع هذا النص فى أيدى الملاك وأصحاب المكاتب العقارية فيزيدون من تكبيل المستأجر المسكين بشروطهم الجائرة.

وفى النص جدال بين المؤجر والمستأجر وحوار ساخن حول حقوق الطرفين، وقد أدلى كل طرف بحججه وقد أبدع الكندى، وإن شئت الدقة فقل أبدع الجاحظ على لسان الكندى فى عرض وجهة نظر أصحاب العقار حتى كدنا نقتنع بحججهم وآرائهم ومنطقهم ونسينا العلاقة غير الحميمة بين الطرفين ونحن نستمتع بصياغة الجاحظ للقضية.

والقصة - بالإضافة إلى ماسبق - تمثل نموذجًا للبخيل الذى يعتمد على الحجج والجدال فى تفسير تصرفاته الغريبة وطلباته العجيبة.

(٩)
نفسيات البخلاء

ونعود إلى النص الثالث قليلاً عند صياغة الخطيب البغدادى للخبر، وكيف تأثر فى هذا الفن بالجاحظ الرائد الأول لرسم شخصيات البخلاء وتحليل نفسياتهم فى الأدب العربى وللنظر إلى قوله: فجعلت امرأته وبناته وجاراته يتطلعن من فروج الأبواب والسطوح إلى الضيف وأكله ويقولون: ويلكم جاء الضيف؟! وكأن الضيف شخص عجيب غريب يرونه لأول مرة.

وقد جاءت خاتمة القصة حميدة طيبة عندما تغيرت طباع الطوسى وأصبح كريمًا أو كما قال الخطيب: لا يمر به ضيف إلا قراه.

(١٠)
هل للبخل وطن ؟

هل للبخل وطن؟!

هل يمكن أن نحكم على عامة أهل بلد بالبخل أو بالكرم؟

المنطق يرفض ذلك، ففى كل بلد كرماء وبخلاء.

لكن بعض البلدان اشتهر أهلوها بالبخل، أو شهرهم الأدباء بذلك وجنوا عليهم.

ومن تلك البلدان إقليم خراسان بصفة عامة ومدينة مرو بصفة خاصة، فقد وجه إليهم الجاحظ سهام نقده ولاذع أسلوبه، وروى فى كتاب (البخلاء) الشىء الكثير والعجيب عن بخل الخراسانيين والمراوزة.

والنص الثالث من المختارات كتبه الخطيب البغدادى عن بخل أهل طوس وكيف كانوا يتهربون من إكرام الضيف بل إنهم لا يعرفون معنى الضيافة.

والنص السادس كتبه الجاحظ عن بخل الخراسانيين، وكيف أنهم قد قننوا البخل ووضعوا له الأنظمة واللوائح والأحكام.

ونلتقى بالجاحظ فى النص التاسع وهو يتحدث عن بخل أهل مرو.

واقرأ إن شئت النص العاشر لتتعرف على نموذج آخر من نماذج البخل، وقد امتد تأثير اتهام أهل إقليم بعينه بالبخل إلى الأدب الشعبى وإلى الأمثال الفصيحة والشعبية وأغلب الاتهامات إنما تكون بين البلدان المتجاورة.

وقد ذكر الدارسون أن الجاحظ قد ركز فى كتابه البخلاء على بخل

أهل مرو وخـراسان دفاعـًـا عن العرب ضد هـجمات الشـعوبيين من الفرس الذين نفوا عن العـرب صفة الكرم. فبنى الجـاحظ كتابه على إثبـات الكرم العربى، والحـديث عن أصناف الطعام عند العـرب فى نهاية الكتاب، وأكثر من التندر على الخراسانيين وأهل مرو.

(١١)
التقتير وحب الأكل صفة لازمة للبخلاء

ويجمع البخـلاء بين البخل والتقتير وحب الأكل واشـتهاء اللحم لكنهم يأكلون بشراهة ونهم عندما يدعون إلى موائد الكرماء، أما فى بيوتهم فلهم مع اللحم والإدام شأن آخـر وهذا ما يتحدث عنه النص الرابع الذى يتحدث فيه البخيل عن أكل لحم الرأس وما ذلك إلا لأنه رخيص الثمن، ومع ذلك، فإن البخيل يذكر له من الفوائد ما يرغب الناس فيه أو بتعبير أدق ما يزين أكله عند البخيل نفسه.

وقد أورد الثورى فى هذا النص الفوائد الكثيرة للحم الرأس.

ويلحق بهذا ما ورد بشأن الرءوس فى النصوص الأخرى.

(١٢)
عشق المال والتغنى به

والبـخيل عـاشق للمـال لا يعدل بـه شيء لذلك رأيناه فى النص الخامس يخاطبه ويلاحقه ويناجيه ويطمئنه إلى أنه لن يخرج من كيسه أبدًا.

وهذا المعنى تطرق إليـه البخـلاء كثـيـرا وتفننوا فى التعـبيـر عنه وتأصيله فى نفوس أبنـائهم كما نجد فى النص العشـرين وفيه يطلب الابن من أبيه درهمًا واحدًا ليأكل به هو وأصحابه، ولكن الأب ينهره ويبكته ويحكى له قـصة الدرهم منذ أن كان فى بطن الأرض مـعدنًا حتى وصل إليه.

(١٣)
هل تورث صفة البخل ؟

ويعالج النص السابع قضية مهـمة تتعلق بتوارث الصفات والطباع والعادات، ومن المعروف أن قانون الوراثة يسرى على الصفات الخلقية

الحسية، أما الأخلاق فتكتسب ولكنها دون شك تخضع لقانون آخر هو قانون التأثر والاقتداء، ولذلك اكتسبت المرأة الأولى فى هذا النص الطباع الحسنة من كرم وبشاشة من أسرتها وكانت شبيهة بأخيها، أما المرأة الثانية فقد اكتسبت أيضا الصفات الذميمة من بخل وشراسة من أسرتها فكانت شبيهة بأخيها أيضا وجمال القصة فى تداخل العلاقات والمفارقة بين صفات الزوجين والزوجتين.

وإلى هذه القضية يشير مضمون النص (التاسع) فهذا الغلام الصغير الذى عاش فى بيئة بخيلة أصبح بخيلاً بالتأثر والعدوى لكن الأمر فى ذلك ليس ضربة لازب فربما أنجب البخيل كريمًا وربما خلف الكريم بخيلاً، ولله فى خلقه وأخلاقهم شئون وشئون.

(١٤)
استغلال الدين والعبادات من قبل البخلاء

وقد يستغل البخيل الدين والعبادة وبعض الأحكام الشرعية لصالحه ولحماية نفسه وماله - كما يتوهم - من طمع الطامعين.

فهذا البخيل (النص الثامن) يلزم جلساءه أن يحلفوا بالله أنهم قد شبعوا ويتوصل إلى ذلك بحيل وأساليب ملتوية، وبعد أن يتم له ذلك يأكل قرير العين آمنًا على طعامه وشرابه فالذى أقسم اليمين أنه

قد شبع فـى بيته لا يمكن أن يمد يده إلى الطعام وإلا لكان حـانثًا فى يمينه وهكذا استغل البخيل الحلف.

وهذا بخيل آخـر (النص الثلاثون) يريد أن يتعـاقد مع فقـير على خدمـته ولا يريد أن يدفع له عوضًـا مقابل ذلك وإنما يكتـفى بتأمين أكله وشـربه، وياله من أكل يأتى من بخـيل، وعندمـا وافق المسكين مضطرًا عـاد البخيل إلى المساومـة وطلب التخفيض؛ ومـاذا يستطيع المسكين أن يخفض؟ والبخيل لم يدفع له شـيئًا لكن الحاجة هدته إلى مـا يرضى البخـيل فقـال: أصـوم الاثنين والخمـيس وصيـام الاثنين والخمـيس سنة لكن البخيل لا ينظر إلى الصـيام من هذه الزاوية وإنما ينظر إليه من زاوية الاقـتصاد فى النفـقة؛ ولذلك فرح بهـذا العرض واستغل الصيام للتوفير.

(١٥)
نكـران الجميـل

ويكشف لنا (النص العاشر) عن صـفة ذميمة من صفـات البخلاء وهى نكران الجمـيل. فهذا البـخيل المروزى يستـغل شهامـة العراقى وصداقـته له فينزل عنده مـرارا وتكرارًا معززًا مكرمًـا، وعندما يحين وقت الوفـاء ورد المعروف والقـيام بحـقـوق الصداقـة يتنكر لذلك، ويدعى أنه لا يعـرف العراقى ويحـاول هذا الرجل الكريم أن يعـرفه

بنفسه وأن يجد له عـذرًا فى تغير اللباس ووعثاء السـفر لكن البخيل يحـسم الأمر بكلـمتـه الخاتمة: لو خـرجت من جلدك لم أعـرفك، فعليك أن ترحل،وعلينا أن نأخذ العبرة من الحدث فلا نضع المعروف فى غير أهله.

والحكايات من هذا النوع كـثيـرة وهى تدل على أخلاق البـخلاء ونكرانهم للجميل.

(١٦)
فوائد الضحـك

أما قصة مـحفوظ النقاش مع الجاحظ (النص الحادى عـشر) قصة عجيبة؛ فالنقاش صديق للجاحظ وقـد خرجا من المسجد معًا فخالف النقاش طبعه ودعا الجاحظ إلى داره وأنَّى للجاحظ الخبير بالبخلاء أن يخدع بـهذه الدعوة لكـنه أراد أن يقف على نموذج عملى مـتجـسد للبخل فقبل الدعوة، ثم عاد البـخيل إلى طبعه فماطل وراوغ وحاور الجاحظ ليردعه عن جريمة أكل مال البخيل، لكن الجاحظ يجد لذة لا تعدلها لذة فى ذلك فيقدم على الأكل وهو مستغرق فى الضحك، ثم يعلق الجـاحظ على الحدث تعليق الخـبيـر بتأثيـر الضحك والـسرور فيقول:

ولقد أكلته جميعًا فما هضمه إلا الضحك والنشاط والسرور فيما أظن.

وهذا فهم دقيق من الجاحظ لأثر الضحك على الصحة.

ويختم القصة بحديث علمى دقيق عن الضحك الجماعى والضحك الفردى فيقول: ولكن ضحك من كان وحده لا يكون على شطر مشاركة الأصحاب.

(١٧)
فلسفة البخل

ويتضمن (النص الثانى عشر) حوارًا حول فلسفة البخل وتعليلات البخلاء. فالحزامى يرضى ويبتهج أن يقال عنه: إنه بخيل وعندما حاوره وناظره صاحبه فى ذلك قال: لا يقال عن الشخص بخيل إلا وهو ذو مال ويكفينى أن أكون ذا مال، وليقل الناس ما يقولون، لكن المحاور حاول إفحامه وإلجامه فقال: إن السخى يجمع بين المال وحسن الذكر، بينما البخيل يجمع بين المال وسوء الذكر...

ويبدو للوهلة الأولى أن صاحبنا البخيل قد هزم فى هذه المحاورة لكنه بخيل وفيلسوف، ولذلك عاد إلى تحليل الموضوع وتقليبه وانتهى إلى أنه لا يقال بخيل إلا ويعنى ذلك ثبات المال واستقراره فى ملكه

لكن السخاء خطر على المال والمهم عنده هو المال ودوامه واستقراره، أما أن يحمد ويفقد المال فذلك هو الخسران المبين وما درى ذلك البخيل أنه قد يفقد المال والحمد معًا، وقد يثبت للكريم السخى المال والحمد معًا ولكن أنَّى لهذا البخيل أن ينظر إلى معالى الأمور ومكارم الأخلاق.

ومن فلسفة البخلاء ما ورد فى النص الثامن والعشرين حول فضل الوحدة وعدم الاختلاط بالناس، وأن الوحدة هى الأصل والقاعدة ولذلك فأكل البخيل وحده يجرى على هذا القياس، ومن أراد مؤاكلة الناس ودعوتهم فقد خالف الأصل وعلبه بالدليل.

(١٨)
التحذير من البخل

أما النص الثالث عشر فهو نص مباشر فى التحذير من البخل وهو فى الحقيقة لا يعبر عن رأى البخلاء وإنما عن الرأى المضاد لهم، فيه كشف وتعرية لهم، وقد اخترناه مع نصوص البخلاء مع أنه فى التحذير عن البخل ليقف القارئ الكريم على رأى صريح فى ذم البخل كتبه شخص استشير من قبل أحد أصحابه فى طلب العون من رئيس بخيل فجاء الرد قويًا مجلجلاً فى التحذير من ذلك وتضمن

النص شيئــا من المبالغات والتحامل على البخــلاء لكنه نص جيد ذو فائدة وتأثير قوى فى التحــذير من تلك الفئة وتعريفهم والكشف عن مغالطاتهم.

(١٩)
المفاخــرة بالبخــل

وإذا كان بعض البــخلاء يغالط ويدعى أن مــا به من بخل إنما هو اقتــصاد وحسن تدبير، فــإن بعضهم كــان يفاخر ببــخله ويجاهر به، ويتمنى أن يعــرفه الناس بهذه الصــفة حتى يكفوا عن رجــاء ما عنده وحتى يسلم من مضايقتهم له بطلب العطاء.

فهذا محمد بن الجــهم (النص الخامس عشر) يقول: وددت لو أن عشرة من الفقهاء وعشرة من الشــعراء وعشرة من الخطباء وعشرة من الأدباء تواطئوا على ذمى حــتى ينتشر ذلك عنهم فى الآفــاق حتى لا يمتد إلىَّ أمل آمل ولا ينبسط نحوى رجاء راجٍ.

فهذا الرجل يريد قطع حبل الرجاء والأمل وما يفيده ذلك إذا كان سيمنع عنه طلاب الرفد والمساعدة والطامعين فى شرابه وطعامه.

وقبل محمد بن الجهم قال الحزامى (النص الثانى عشر) لا أعدمنى الله هذا الاسم وفلسف ذلك وأورد عليه الحجج والبراهين.

(٢٠)
التربية عند البخلاء

ويتبارى البخلاء فى تربية أولادهم على البخل والتقتير، ويعجبون بأكثرهم بخلاً مما يدل على نجاح الأب فى التربية فهذا البخيل (النص السادس عشر) بعد أن أكل اللحم ولم يبق إلا العظم وقد اشرأبت أعناق أولاده إلى هذا العظم، كل يطمع إلى نيله والفوز به ولكن ذلك لن يتحقق إلا بعد مباراة وامتحان عصيب، ولذلك وجه سؤالاً واحداً إلى أبنائه الثلاثة هو من يحسن وصف أكل هذه العظام؟

وبدأ بالابن الأكبر لكبر سنة ولأنه يتوقع إجادته الجواب من طول الخلطة والمعاشرة ولما مرّ به من مشاهد ومواقف تعلمه البخل وتجعله يبدع فى الجواب، لكن الابن الأكبر فشل فى الامتحان حيث أجاب بقوله: آكله حتى لا أدع لذرة فيه مقيلاً.

وهنا انتقل السؤال إلى الابن الأوسط فكانت إجابته أدل على البخل من الأكبر لكنها لا ترضى طموح الأب فى أن يكون أبناؤه أبخل منه قال الابن الأوسط: آكله حتى لا يدرى ألعامه هو أم لعام أول.

وهنا تصدى الابن الأصغر للجواب وجاء بكلمة الفصل فى هذه المشكلة فقال: أدقه دقًا وأجعل إدامه المخ.

ورضى الأب عن جوابه وسلم إليه العظم وقال هو لك.

ونحن نقول إن الابن يستحق الهدية الثمينة، فقد بلغ فى الفقر وفلسفته شأواً تفوق فيه على والده الخبير المجرب.

(٢١)
التظاهر بالكرم

وكثير من البخلاء يشعر بالنقص ولذلك تراه يمارس بعض الأعمال التى توهم الآخرين بأنه كريم، فيلقى أمام منزله بعض المخلفات الدالة على الكرم كما فعل صاحبنا (النص الثانى والعشرون) عندما وضع عظام الرأس أمام داره يتجمل بها أمام جيرانه كما قال ولكنه كان يسكن فى حىّ أهله يغلب عليهم البخل ولذا قام جاره وهو من طبقته يأخذ العظام ووضعها أمام داره ليتظاهر بالكرم وإنه لحىّ ينبغى للكريم أن يرتحل منه قبل أن تصيبه العدوى ويصبح من البخلاء.

(٢٢)
آباء وأبناء

علاقة الآباء بالأبناء تقوم على العطف والرحمة وحسن التربية، وعلاقة الأبناء بآبائهم تقوم على البر والصلة والعطف والرعاية، لكن

القصص التـى معنا تدل على إفسـاد البخل لتلك العـلاقة، فـعندما يتعـرض المال لخطر الإنفاق أو هكذا يتصـور البخيل فلا مـجال عنده للعطف والرحمة ولا للوفاء والتقدير.

فهذا الأب (النص الرابع والعشرون) لا يود أن يهضم أبناؤه الطعام هنيئـا مريًا، بل يتـمنى عكس ذلك حتى يسلم ـ أو هكـذا يتوهم ـ من إطعامهم فى اليوم التالى، فـقد لحظ الضيف أن الأب يقوم من الليل ويقلب أبناءه على الجنب الأيمن، وعندما سأله عن ذلك ذكـر له سببًا لا يخطر إلا على بال البخلاء، فهو يخشى أنهم إذا ناموا على الجنب الأيسر فسيـهضمون طعامه وهو لا يريد ذلك، ولذا فـقد قَلَّبَهُمْ على الجنب الأيمن كى لا يهـضـمـوا الطعـام، وأين هذا الأب من أولئك الآباء الرحماء الذين يبحثون لأبنائهم عن الشراب الهاضم للأكل لكنه مرض البخل يفعل بأصحابه الأفاعيل حتى ولو كانوا أبناءهم.

وفى مقـابل ذلك نجد الأبناء البـخلاء لا يذكرون آباءهم بخـير إن أحسـوا أو عرفوا من أخبـارهـم ما يوحى بمجانيـة البخل وبشىء من الإنفاق فـى عرف البخـلاء وهو التقـتيـر بعينه عند الكرمـاء، ولكن المفاهيم مختلفة عنـد هذه الفئة المريضة من الناس، وللنظر إلى تعليق الابن البـخـيل (القطعـة الخـامـسـة) على حـال والده واتهـامـه له بالإسراف، فـعندما مات البـخيل حضـر ابنه لا لتقبل العـزاء وتحمل المسئولية ولكن لإحصاء أمـوال الأب وضمها إلى أمواله المكنوزة وهنا يسأل الابن أخـواته عن طريق والده فى النفقة، وعندمـا قالوا له إنه

كان يتأدم بجبنة يمسح اللقمة عليها، طلب المعاينة والفحص وعندما رأى الجبنة وبها حزّ من أثر أكل والده اعتبر ذلك إسرافًا وقال: لو علمت أن ذلك صنيعه وإسرافه لما صليت عليه وعندما سئل عن طريقته فى الأكل قال أضع الجبنة من بُعد وأشير إليها باللقمة!!

ونحن لا نسلم بصحة تلك القصص على سبيل اليقين، لكنها تدل على اضطراب العلاقة بين الآباء والأبناء بسبب البخل والشح وفى تصويرهم بهذه الصورة يقطع النظر عن حقيقة وقوعها تنفير من البخل لا شك فيه.

(٢٣)
نوادر وطرف

وفى بعض حكايات البخلاء نوادر وطرف ماتعة وهى ذات دلالات نفسية واجتماعية تساعد من يدرس نفسية البخلاء وكيف سيطر البخل على تصرفاتهم.

فهذا بخيل لا يأكل إلا فى منتصف الليل، ولك أن تسأله عن الحكمة فيجيبك جوابًا مقنعًا عند أمثاله من البخلاء ويعدد لك فوائد الأكل فى ذلك الوقت، ومنها الأمن من مفاجأة الضيوف له وهو يأكل (النص الرابع).

وهذا بخيل آخر يرد على صاحبه الذى احتج على عدم دعوته له فقال: كيف أدعوك وأنا أعرفك وأعرف طريقتك فى الأكل وربما التقينا على مائدة كريم فأنت سريع البلع وإذا أكلت لقمة هيأت أخرى. . . .

ولم يفوت صاحبه له هذه الفرية فرد عليه ردًا جميلاً لا يقدر عليه إلا أمثاله فقال: أتريد منى إذا أكلت لقمة أن أصلى ركعتين ثم أعود ثانية؟!! ولو قام للصلاة لرفع البخيل الطعام؟ (النص السادس والعشرون).

وهذا بخيل ثالث له قصة ظريفة فقد دخل عليه أحد الأصدقاء وقد شارف هو ومن معه على الانتهاء من الأكل، وعندما همَّ القادم الجديد بالأكل قال له: أجهز على الجرحى ولا تتعرض للأصحاء، وكأن الأكل معركة حامية الوطيس وهو كذلك عند هؤلاء البخلاء وهمّ البخيل الآن هو تقليل الخسائر ما أمكنه ذلك ولذا قال: أجهز على الجرحى ويريد ذلك الدجاج والفراخ الذى أكل منه، واترك الأصحاء أى الذى لم يؤكل منه أصلاً، وهكذا استخدم البخيل المصطلحات العسكرية فى مجال الأكل ويا لها من معركة؟!.

أما الرابع فقد رزقه الله بخادم أفقه منه وأعلم فى باب البخل ولعله تلقى العلم منه ثم فاق أستاذه فيه، فعندما قال السيد البخيل لغلامه: هات الطعام وأغلق الباب حتى لا يشاركنى أحد فى الأكل، أحس الغلام النابغة أن فى ترتيب الكلام خطأ فإن هو أحضر الطعام

ثم ذهب لإغلاق البـاب فقد يحضـر الضيف ويستـغل الوقت ما بين وضع الطعام وإغلاق الباب، فتقع الكارثة على سيده وتمتد آثارها إليه ولذلك قال: يا سيدى إن منطق البخل وفـقهه يقتضى أن تقول أغلق الباب أولاً ثم أحـضر الطعام، فـعلم السيد أن خـادمه قد فـاقه فى التدبير وفهم الأمور أو فى الحزم كـما عبر عن ذلك عندما قال: أنت حر لعلمك بالحزم.

ولكن علينا ألا ننخـدع بهذه الأريحيـة والكرم الذى أدى إلى عتق الغلام، فإنما هى فـورة حماس وإعجاب وبعد ذلك لن يعـدم البخيل وسيلة للتراجع عن عتق الغلام (النص التاسع والعشرون).

وهذا بخيل غلبه الحـياء فأكل، وما ظنك ببخيل يسـتحى فيأكل، لابد أن يكون لذلك قصة (النص الثامن عشر) فقد ترافق شخص مع بخيل وكان هذا البخـيل قد جمع إلى البخل صفة ذمـيمة أخرى هى الكسل والعجـز والخوف من الإنفاق، فـعندما طلب منه صاحـبه فى السفـر أن يذهب لشراء اللحم من السوق امـتنع وعندما طلب منه أن يطبخ اعـتذر أيضـا، وعندمـا حان وقـت الأكل وطلب منه أن يأكل قال: والله لـقد استـحيـيت من كثـرة خلافى عليك ولولا ذلـك ما فعلت، ثم هجم على الأكل بنفس شهيـة، فقد أمن التعب والإنفاق فما عليه إن أكل وشرب من مال غيره.

أما البخيل البصرى (النص التـاسع عشر)فقد أكل وأكثر من الأكل .

حتى أصيب بالتخمة وعندما زاره الطبيب ووصف له دواء التخمة رفض بشدة وقال:

الموت أهون من ذلك.

(٢٤)
الخصائص العامة لقصص البخلاء

وإذا عدنا إلى النصوص السابقة لنستنبط منها الخصائص العامة لقصص البخلاء وحكاياتهم فسنجد ما يلى:

- يحاول البخلاء ما أمكنهم ذلك إخفاء بخلهم وهذا اعتراف منهم بأن البخل رذيلة.
- إذا عجزوا عن إخفاء البخل لجئوا إلى المغالطة والتأويل وقلب المفاهيم، فإذا البخل اقتصاد وإذا التقتير حسن تدبير وهكذا يسمون الأشياء بغير أسمائها.
- إذا فشلت كل محاولاتهم فى التستر والتخفى أو إذا شعروا أن فى المجاهرة بالبخل تخليصًا لهم من النفقة أو من طمع الآخرين جاهروا بالبخل وأعلنوها صريحة أنهم بخلاء بل وفاخر بعضهم بذلك.
- البخلاء لا شأن لهم بالعلاقة الاجتماعية بل حياتهم تقوم على

الوحدة والانفراد والتوحش من الآخرين، لأن فى الاجتماع بذل وإنفاق وهم غير قادرين على ذلك.

- وعلاقاتهم الأُسْرِيَّة قائمة على التقتير والشدة والقسوة ويرون فى ذلك من حسن التربية وحماية الأولاد من البطر والإسراف.

- وفى تصرفاتهم تناقض عجيب، فإن دعوا إلى وليمة أكلوا وأكثروا ما دام المال مال الغير، أما إذا كان الإنفاق من جيوبهم فلذلك شأن آخر.

- يتحول البخل الشديد إلى هاجس مرضى بل وإلى خوف دائم من الفقر مما يدل على سوء الظن بالله.

- فى بعضهم ظرف وخفة دم وبخاصة عندما يجادل ويحاور فى فضيلة الاقتصاد والتوفير كما يحبون أن يطلق عليهم وعلى بخلهم.

وقد حاول أكثر الكتاب الذين اخترنا من تراثهم النصوص السابقة محاربة البخل والتنفير منه بوسائل عدة:

- فمنهم من حاول ذلك مباشرة وبأسلوب صريح فأتى بالآيات والأحاديث والمواعظ التى تحذر من البخل وتدعو إلى البذل والإنفاق.

- ومنهم من عالج هذه الرذيلة ونفر منها بأساليب غير مباشرة تعتمد على الإيحاء والتأثير غير المباشر، كأن يرسم لنا البخيل فى صورة منفردة، أو يعرض حججه بطريقة مضحكة، أو يضعه فى مواقف تدعو إلى النفور.
- ومنهم من زاوج بين الأسلوبين فيأتى بالقصة ثم يعلق عليها، أو يعرض للخبر ثم يستخلص منه العبرة..

(٢٥)
دراسات متنوعة

وأخيرًا فإن الكم الهائل من أخبار البخلاء وقصصهم وأشعارهم وما قيل فى ذمهم والتشهير بهم، يحتاج إلى دراسات متنوعة تشارك فيها علوم كثيرة بالإضافة إلى الدراسات الأدبية.

فعلماء النفس مجالهم الرحب فى تحليل نفسية البخلاء المريضة.

ولعلماء الاجتماع فرصتهم فى دراسة آثار البخل على العلاقات الاجتماعية ولعلماء التربية دورهم فى دراسة تأثير البيئة البخيلة على اتجاهات الأولاد. ولعلماء الاقتصاد مجال فى دراسة العلاقة بين البخل وتنمية الثروة.

أما الدراسات الأدبية فقد قالت كلمتها:

إبداعًا ونقدًا وتحليلاً

وقانا الله شر البخل

وحبب إلينا البذل والعطاء.

* * *

المصادر والمراجع

١ـ إتحاف النبلاء بأخبار الكرماء والبخلاء.

جمال الدين ابن المبرد الدمشقى الحنبلى، تحقيق يسرى عبد الغنى.
دار الكتب العلمية/ بيروت/ لندن/ ١٤١٠هـ.

٢ـ أدب الجاحظ من زاوية صحفية.

د. محمود أدهم. القاهرة/ ١٩٨٦م.

٣ـ أدب الفكاهة عند الجاحظ.

د. أحمد عبد الغفار عبيد. مكتبة السعادة / القاهرة / ط١/ ١٤٠٣هـ.

٤ـ ألفاظ الحياة الاجتماعية فى أدب الجاحظ.

د. رشيدة عبد الحميد اللقانى. مطبوعات جامعة الملك سعود بالرياض/ ط١/ ١٤١٣هـ.

٥ـ الإمتاع والمؤانسة.

لأبى حيان التوحيدى. دار مكتبة الحياة/ بيروت/ لبنان.

٦ـ البخلاء للجاحظ.

تحقيق طه الحاجرى. دار الكاتب المصرى / القاهرة / ط١ / ١٩٤٨م.

٧ـ البخلاء للجاحظ.

ضبطه وشرحه وصححه أحمد العوامرى وعلى الجارم. دار الكتب العلمية / بيروت / ١٤٠٣ هـ.

٨ـ البخلاء للخطيب البغدادى.

تحقيق أحمد مطلوب وخديجة الحديثى وأحمد القيسى. مطبعة العانى / بغداد.

٩ـ بناء النص التراثى.

د. فدوى مالطى دوجلاس. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة / ط١ / ١٩٨٥م.

١٠ـ التطفيل وحكايات الطفيليين وأخبارهم.

للخطيب البغدادى. تحقيق د. عبد الله عبد الرحمن عسيلان. دار المدنى / القاهرة / ط١ / ١٤٠٦هـ.

١١ـ الجاحظ.

لشارل بلا. ترجمة د. إبراهيم الكيلانى. دار اليقظة / دمشق / ١٩٧١م.

١٢ـ رحلة التراث العربى.

د. سيد حامد النساج. دار المعارف / القاهرة / ط٢ / ١٩٨٥م.

١٣ـ سخرية الجاحظ من بخلائه.

د. محمد بركات حمدى أبو على. مكتبة الأقصى / ط٢ / ١٤٠٢هـ.

١٤ـ السخرية فى الأدب العربى.

د. نعمان أمين طه. دار التوفيقية / القاهرة / ط١ / ١٣٩٨ هـ.

١٥ـ صورة بخيل الجاحظ الفنية.

أحمد بن محمد أمبيريك. دار الشؤون الثقافية / بغداد.

١٦ـ ظاهرة الكدية فى الأدب العربى.

د. حسن إسماعيل عبد الغنى. مكتبة الزهراء / القاهرة / ط١ / ١٤١١هـ.

١٧ـ العقد الفريد.

لابن عبد ربه الأندلسى. تحقيق محمد سعيد العريان. مطبعة الاستقامة / القاهرة / ط٢ / ١٣٧٢هـ.

١٨ـ عيون الأخبار.

ابن قتيبة الدينورى. دار الكتب العلمية / بيروت / لبنان.

١٩ـ فن السخرية فى أدب الجاحظ.

رابح العربى. ديوان المطبوعات الجامعية / الجزائر / ط١ / ١٤٠٩هـ.

٢٠ـ فن القصص فى كتاب البخلاء.

محمد المبارك. دار الفكر / دمشق / ط٢ / ١٣٨٤هـ.

٢١ـ القيمة الاجتماعية والتاريخية فى كتاب البخلاء.

صالح بن سليمان الواشمى. جمعية الثقافة والفنون / بريدة / ط١ / ١٤٠٦هـ.

٢٢ـ المجتمع العباسى من خلال كتابات الجاحظ.

د. محمد عويس. دار الثقافة / القاهرة / ط١ / ١٩٧٧م.

٢٣ـ المستطرف فى كل فن مستظرف.

شهاب الدين الأبشيهى. دار القلم / بيروت / لبنان / ١٤٠١هـ.

٢٤ـ مع بخلاء الجاحظ.

فاروق سعد. دار الآفاق الجديدة / بيروت / ١٩٧٨م.

٢٥ـ من معجم الجاحظ.

د. إبراهيم السامرائى. بغداد / ١٩٨٢م.

٢٦ـ نثر الدر.

للوزير الكاتب أبى سعد منصور بن الحسين الآبـى. تحقيق محمد على قـرنة الهيئـة المصرية العـامـة للكتاب / القـاهرة / ط١ / ١٩٨٣م.

٢٧ـ النثر الفنى وأثر الجاحظ فيه.

د. عبد الحكيم بلبع. مكتبة وهبة / ط٣ / ١٣٩٥هـ.

٢٨ـ نهاية الأرب فى فنون الأدب.

شهـاب الدين أحمـد عبد الوهاب النويرى. نسـخة مـصورة عن طبعة دار الكتب المصرية / سلسلة تراثنا.

* * *



فهرس الكتاب

الموضوع **الصفحة**

رقم الإيداع ١١٩٢٦ / ٩٨
الترقيم الدولى 0 - 0441 - 09 - 977

مطابع الشروق
القاهرة :٨ شارع سيبويه المصرى ـ ت ٤٠٢٣٣٩٩ ـ فاكس:٤٠٣٧٥٦٧ (٠٢)
بيروت : ص ب. ٨٠٦٤ ـ هاتف : ٣١٥٨٥٩ ـ ٨١٧٢١٣ ـ فاكس : ٨١٧٧٦٥ (٠١)





تتبع الدكتور الربِّيع في القسم الثاني من هذا الكتاب، حركة التأليف حول البخل والبخلاء منذ الأصمعي، وحتى الفقيه الحنبلي جمال الدين يوسف، ومرورا بالجاحظ، وابن قتيبة، وأبي حيان التوحيدي، وابن عبد ربه، والأبشيهي، وغيرهم كثيرون.

ولم يكتف الدكتور الربِّيع بذلك، بل قدم لنا في القسم الأول نماذج من نوادر البخلاء، ضبطها، وشرح غامضها وأحالها إلى مصادرها الأصلية، وأخيرا حللها وأشار إلى دلالاتها المضمونية والفنية في نهاية الكتاب. وبذلك أصبح القارئ أمام نماذج، معتمدة وأصلية، تمثل هذا الجنس الأدبي، وتدفعه إلى اكتشاف مصطلحاته الخاصة، وإلى إرساء دعائمه كفن مستقل، ليس هو القصة القصيرة، ولا المقالة النقدية، ولكنه فقط هو النادرة العربية.

دار الشروق

القاهرة : ٨ شارع سيبويه المصري ـ رابعة العدوية ـ مدينة نصر

ص.ب : ٣٣ البانوراما ـ تليفون : ٤٠٢٣٣٩٩ ـ فاكس : ٤٠٣٧٥٦٧ (٠٢)

بيروت : ص.ب : ٨٠٦٤ هاتف : ٣١٥٨٥٩ ـ ٨١٧٢١٣ ـ فاكس : ٨١٧٧٦٥ (٠١)